مجلة
بيّنات
العدد
١١
مجلة تصدر كل شهرين مؤقتاً عن :
رابطة علماء المسلمين
عدد ربيع الأول ١٤٤٥هـ ::: سبتمبر ٢٠٢٣م

الجبرية
ومراحل الحكم التاريخية

الولايات المتحدة الإبراهيمية
مشروع مابعد التطبيع..

العَلَمَ الأَشَمَ ومَفْخَرَةَ أَهْلِ العِلْم
الشيخ حمود الشعيبي

مسلمو الصين
خارج المعادلة و الإحصاء

المكر الكبّار

بعد عشرية سوداء ..
الثورة السورية إلى أين؟

مجلة

بيّنات

تصدر كل شهرين عن
رابطة علماء المسلمين

رئيس التحرير:
د. عبدالعزيز كامل

مدير التحرير:
د. عادل الشيخاني

الهيئة الاستشارية:
د. محمد يسري
د. عادل الحمد
د. محمد عبدالكريم
د. هشام برغش
د. حسن سلمان

التصميم والإخراج الفني:
رونق للخدمات الإعلامية

رابطة علماء المسلمين

العدد
١١

ربيع الاول ١٤٤٥هـ ::: سبتمبر ٢٠٢٣م

bayyinatre@gmail.com | رابطة علماء المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

١- المكر الكبار..... ٣

٢- اجتماع المسلمين وكيف يكون ٦

٣-(الجبرية) ومراحل الحكم التاريخية..... ١٢

٤- من احكام الديار في عصرنا..... ١٩

٥- الشيخ حمود الشعيبي (علم أشم.. مفخرة لأهل العلم)..... ٢٣

٦- معالم منهج اهل السنة في التزكية[الاخلاص]..... ٣١

٧- الشباب يسألون.. ماذا نفعل ونحن مستضعفون؟ ٣٥

٨- الولايات المتحدة الإبراهيمية..مشروع مابعد التطبيع..... ٣٩

٩- بعد عشرية سوداء؛ الثورة السورية إلى اين؟..... ٤٥

١٠- مسلمو الصين,خارج المعادلة والإحصاء..... ٥٠

١١- ازمة اليقين العلمي في الحضارة المعاصرة..... ٥٦

من أخطر الكيد للإسلام: أن يحرر علماني فكرة باطلة تنادي على فسادها وضلال من أطلقها! ثم يأتي بعــد ذلك مفتونٌ يتلقف تلك الفكرة خبيثة المظهر والجوهر؛ فيعمل على المحافظة على جوهرها وتعديل مظهرها، حتى لتبدو كأنها فكرة إسلامية!

وتتعدد مداخل الإفك على المسلمين بتعدد المفتونين!

وعبر التاريخ الإسلامي كانت الانحرافات الكبرى تبدأ من هذه النقطة، فيلقي يهودي أو نصراني أسلم نفاقًا بدعته، ثم ينتهي الأمر إلى بعض من يتلقفها عنه من المفتونين، ضعافِ العقل والإيمان، فيلبِّسوا على الناس تلك الضلالات؛ فتنتشر في الأمة، وما انتشرت بدعة الرفض والقول بالقدر، إلا من هذا السبيل!

وكثيرًا ما فشــلت وتفشــل التيارات الفكرية الإلحادية والأطروحات العلمانية والتغريبية التي يطرحها غير المسلمين في بلاد المسلمين، حتى يتبناها بعض المفتونين من بني جلدتنا، أو من بني **دعوتنا**؛ فيسعى خداعًا لأسلمة الشكل منها والمظهر، ويبقي على الجوهر والمخبر!

فإذا بالعلمانية ترتدي زيًّا إسلاميًّا!

وكثيرًا ما فشلت وتفشل التيارات الفكريــة الإلحاديــة والأطروحــات العلمانيــة والتغريبيــة التــي يطرحها غــير المســلمين في بلاد المســلمين، حتى يتبناها بعــض المفتونين من بني جلدتنــا، أو من بني دعوتنا؛ فيســعى خداعًا لأسلمة الشــكل منها والمظهر، ويبقي على الجوهر والمخبر!

فإذا بالعلمانية ترتدي زيًّا إسلاميًّا!

وسواء أكان من يسعى لأسلمة الانحرافات من المفتونين أم كان من المغفلين، أم من المأزومين؛ فإن النتيجة التي تترتب على تلبيسه الحقَّ واحدة!

والأمثلة كثيرة، فما كانــت فكرة فصل الدين عن الدولة لتســمع في الشرق، حتى زعم شــيخ معمَّمٌ مفتون- هو: علي عبد الرازق- أن الإســلام دينٌ لا دولة فيه، ولا دولة تخصه!

وقد قام أكابر العلماء قبل نحو مائة سنة بالرد عليه، وحكمــوا بإخراجه من زمرة العلماء، ومنهم من دعاه لتجديد إسلامه لإتيانه كفرًا!

منهم أصحاب الفضيلة المشايخ:

- محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر.

- محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية.

- الطاهر بن عاشور، المفسر والقاضي المالكي، شيخ جامعة الزيتونة.

- يوسف الدجوي، عضو هيئة كبار العلماء.

- وأصدرت هيئة كبار العلماء بيانًا في الرد على الكتاب وبيان ما فيه.

وللأسف بعد أن انسحب علي عبد الرازق من مقولته، إذا بنا نسمعها مجددًا على يد بعض الدعاة المتفلسفين والساسة المأزومين!

ووجد من يؤصل ليجعل من دولة الإســلام مسخًا علمانيًا مشوهًا، تارة تحت اسم مدنية الدولة، وأخرى بزعم تأول قول نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتُمْ أَعْلَــمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»[1]، وثالثة بإنكار أن في الإسلام نصوصًا تنظم شأن الدولة!

تمخض كيدهم لأصول الإسلام عن تحويل التوحيد إلى فلسفة ووحدة وجــود، وتحويل أصــول العقائد من القطعية والثبوت، إلى مساحات الأخذ والرد، والتأويل والاعتراض.

وعلى يد جماعــة المهزومــين والمأزومين والمأجورين أصبح الدين الحق بشريعته الخاتمة يومًا اشتراكيًا ويومًا رأسماليًّا ويومًا قوميًّا وليبراليًّا،

(1) أخرجه مسلم (٢٣٦٣).

يلبسونه لبوس كل ملة، ويدخلون به في كل نحلة!

ثم ذهبت تلك الجماعة الضالة إلى كل فروع التراث الإسلامي، عقيدةً وتفسيرًا وحديثًا وأصولًا وتاريخًا وحضارة وثقافة، وكلِّ بابٍ من أبواب شريعة الرحمن- لتعيد صياغة موقف المسلم منه، وتعدل فهمه له، بما ينتج دينًا جديدًا يرتضيه أعداء الدين الحق، المنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

ولقد تمخض كيدهم لأصول الإسلام عن تحويل التوحيد إلى فلسفة ووحدة وجود، وتحويل أصول العقائد من القطعية والثبوت، إلى مساحات الأخذ والرد، والتأويل والاعتراض.

وعن تحويل نصوص القرآن من القدسية والتعظيم إلى القول بتاريخية النص القرآني وأنسنته، وتحويل معانيه الثابتة المتلقاة عن سلف الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اطِّراح تفاسير السلف له، وتفسيره برؤية علمانية، تؤصل للإلحاد في آيات الله، وتخرج في التفسير عن إجماعات أهله، وتبتدع في التفسير أصولًا باطلة!

ومثل هذا يصنعون في الحديث! فيذهبون إلى طرح حديث الآحاد، وإنكار حجيته ولو كان صحيحًا، فلا يأخذون به في علم أو عمل، ولا يقبلون ثبوت غير المتواتر! ثم إذا أتاهم المتواتر بخلاف ما تلقَّوه عن متبوعيهم في الشرق والغرب، دفعوه بما دفعوا به نصوص القرآن، من آلات التأويل الباطني، والتحريف الحداثي.

ثم يمموا شطر علم أصول الفقه، الذي هو علم أصول التلقي والاستدلال والفهم والاستنباط، فنادوا بتجديده لا تجديدًا يحيي من العلم ما اندرس، ويجلي من معالمه ما انطمس، بل غايتهم من هذا «**التبديد**» إحداث أصول جديدة، وإسقاط أصول ثابتة، ومعارضة أصول أخرى بأوهام وترَّهات، ما قام عليها من الله برهان!

أما أحكام الفقه فلا يلزمهم منها إلا ما وقع عليه الإجماع، وهو نزر يسير من الأحكام! والتجديد في الفقه عندهم: إعطاء حق الاجتهاد لمن لا يقيم النص العربي قراءة بلسانه، فضلًا عن أن يعقله بقلبه!

وهكذا يصنعون في سائر العلوم، فلا يسلم من التخريب علم ولا فن، ولا تنجو منه قضية علمية أو فكرية أو واقعية؛ ليصبح المسلمون في النهاية بلا فهم للإسلام، ولا هوية تنبع من أصوله وشريعته، ولا وعي بحقه أو قضيته!

واستبانة سبيل المجرمين مطلب شرعيٌّ، والرد على إفكهم عمل مرضيٌّ، وحراسة ثوابت الدين ومحكماته واجب عينيٌّ على كل قادر بما يستطيع، {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ} [الحج:٤٠].

﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرّقُوا﴾

اجتماع المسلمين.. كيف يكون؟

قول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) يشمل أمرًا للوجوب، ونهيًا للتحريم في آنٍ، وهما متلازمـــان، فالذين لا يعتصمون لا بد أن يكونوا متفرقين.

وقد سُـــبقت تلك الآية من ســـورة آل عمران بتوجيه واضح ؛ بالحـــذر واليقظة من عاقبة الغفلة عن المكر الكبـــار للمتربصين بالدعوة من الكفار، وخاصة كفار أهل الكتاب الذين يكفرون بآيات الله وهم يشهدون، ويصدون عن ســـبيل الله ويبغونها عوجًا وهم شهداء.

ويدخـــل معهـــم - بآيات أخـــرى - أولياؤهم من المنافقين الذين حـــذر الله تعالى المؤمنين من مكرهم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْـــدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } [آل عمـــران: ١٠٠]. فالضرر الحاصل من الغفلة عنهم ـ أو إحســـان الظن بهم والاســـتجابة لهم في تفريق الصف ـ لا يهدد فحسب كيان المسلمين في الدنيا، بل يهدد أصل تمكســـهم بالدين.. {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}.

ثم يُردَف الكلام بمدخـــل لفريضة الاعتصام، التي يمثل القيام بهـــا إقامة لأكثر الواجبات، وحلاً لأكثر المعضلات: {وَمَن يَعْتَصِـــم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١].

ثم تتابع سلاسل الحل الذهبية لكبرى الأمراض والمشكلات التي عانت وتعاني منها الأمة الإسلامية، في سياق راقٍ رائق، يتضمن بيان الأسس التي يجب أن يبني عليها المسلمون صروحهم، وذلك بالنداء الموجه لكل مسلم، في خاصة نفسه ثم فيمن ولَّاه الله أمره: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢]؛ وذلك بطاعته حق الطاعة، بدلاً من طاعة الكافرين التي لا يزداد من خضع لها إلا خبالاً وضلالاً.

ثم قال الله: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} وهي دعوة للثبات على الإسلام حتى الممات؛ وهذا الثبات ليس مجرد قدر يُنتظر، بقدر ما هو نعمة تُسأل، وتوفيق يُرجى، وتكليف له أسباب. أما أسبابه على مستوى الفرد فهي أن يُتقى الله حق تقاته - كما في الآية - وأما الأسباب على مستوى المجموع فإنها مجموعة في التكليفين العظيمين الآتيين في الآية بعدها.

فأحد هذين التكليفين أمر، وهو {وَاعْتَصِمُوا} والثاني نهي، وهو {وَلا تَفَرَّقُوا}. فهما تكليفان يأخذان بمجامع الطاعات المأمور بها في قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} ويُبعدان عن عظائم المخالفات المحذورة بقوله تعالى: {إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران: ١٠٠]. فالتكليف الأول {وَاعْتَصِمُوا} يُوصل إليه بأكثر شعب الإيمان، والثاني {وَلا تَفَرَّقُوا} تنشأ عن مخالفته أكثر شعب العصيان.

كيف نعتصم وبِمَ نعتصم؟

الاعتصام في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} هو - كما قال القرطبي - من العصمة، وهي المنعة، فالمعنى: امتنعوا، أو خذوا بسبب المنعة وهو (حبل الله) الذي ينجو من استمسك به من كل خطر، فبِهِ - كما قال الطبري - يُوصَل إلى البغية والحاجة. ومعنى الحبل في اللغة - كما عرَّفه ابن عاشور - «ما يشدُّ به للارتقاء أو التدلي، وأصل استعماله في الأجرام المحسوسة، واستعماله في المعاني من باب المجاز أو الاستعارة، فالحسي يُنجي من التردي والسقوط، والمعنوي يُنقذ من الردى والضلال.

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تعيين المراد من الحبل هنا على ستة أقوال، كلها متقاربة؛ فذهب ابن مسعود - رضي الله عنه - إلى أن حبل الله في الآية هو (القرآن)، وفي قول آخر له هو: (الجماعة)، وقال أبو العالية: هو (الإخلاص لله وحده)، وقال الحسن: هو (طاعة الله)، وذهب قتادة إلى أنه: (عهد الله وأمره)، وقال ابن زيد: (الإسلام). (راجع تفسير الطبري للآية ١٠٣ من آل عمران).

والمتأمل في هذه التفسيرات؛ يجد أنها من باب اختلاف التنوع لا التضاد، فهي غير متعارضة، بل متعاضدة. فـ (القرآن) هو محتوى (الإسلام) الذي يقوم على (الطاعة لله) وفاءً وقياماً بـ (عهد الله وأمره)، وهذان لا يقومان إلا بأمرين: (الإخلاص) المقترن بالاتباع، الذي لا يتحقق إلا على منهاج (الجماعة) أو منهاج السنة، الذي ليس وراءه إلا مناهج الابتداع.

وقد ربط الطبري - رحمه الله - بين المعاني التي ذهب إليها المفسرون من السلف فقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}: «يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه، من الاجتماع على الحق والتسليم لأمر الله».

تأملات في معنى (الجماعة):

باستقراء أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم في ربط (الاعتصام بحبل الله) بالجماعة؛ سنجد أن هذه الجماعة لا يمكن أن يكون المقصود بها إلا المنهج الذي يجب الاجتماع حوله ؛ فهي ليست مجرد تجمع عضوي - مع أهمية ذلك - لأن ذلك التجمع إذا وُجد فإنه لا يستمد قيمته إلا من الاجتماع على المنهج المقبول، الذي لا يمكن أن يكون إلا منهج (أهل السنة والجماعة) الواضح المعالم، المحكم الأركان والموثق في الدواوين، والمأمور باتباعه في كل آنٍ ومكان، على خلاف غيره من مناهج الاختلاف والتفرق ؛ حيث لا يتصور - مثلاً - أن يكون حبل الله العاصم هو منهج التشيع الضال، أو يكون الحبل المأمور بالاعتصام به هو منهج التجهم أو الاعتزال، أو منهج الخوارج أو القدرية أو الصوفية أو غير ذلك من المناهج القديمة المنحرفة أو المعاصرة المضللة، التي يحاول بعضهم خلطها بمنهج الإسلام الصافي الوافي - منهج أهل السنة والجماعة - فكل المناهج المناقضة أو المناهضة له؛ إنما توصل إلى الفرقة بقدر ما فيها من كدر؛ ولذلك فإن من رجَّح أن المراد بالحبل المأموربالاعتصام به هو (الجماعة) دلل على ذلك - كما قال ابن عادل الحنبلي- بأنه أعقبه النهي عن التفرق.

وقد جعل ابن القيم - رحمه الله - (الاعتصام) منزلة عظيمة من منازل السائرين إلى رب العالمين وعرَّفه بقوله: «الاعتصام: افتعال من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف ؛ فالعصمة: الحمية، والاعتصام: الاحتماء ؛ ومنه سُميت القلاع: العواصم لمنعها وحمايتها». وجعل - رحمه الله - الاعتصامَ قسمين:

الأول: اعتصام بالله، دلَّ عليه قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ} [الحج: ٧٨]. وهو يعصم من الضلالة ؛ فهو كالدليل يهدي إلى الطريق.

والثاني: اعتصام بحبل الله، وهو المدلول عليه بقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}. وهويعصم من الهلكة ؛ فهو كالعدة والسلاح والقوة التي بها تحصل السلامة من آفات الطريق. وقال عنهما: «ومدارالسعادة في الدنيا والآخرة على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين. (مدارج السالكين ١/٤٦٠).

وقسَّم ابن القيم الاعتصام بحبل الله إلى نوعين:

الأول: اعتصام توكل واستعانة، وتفويض ولجوء وعياذ بالله وإسلام نفس.

والثاني: اعتصام بوحيه وتحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم ومعقولاتهم وأذواقهم

وكشوفاتهم ومواجيدهم. (مدارج السالكين ٣٢٣/٣).

ثم قال: « فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الاعتصام ؛ فالدين كله في الاعتصام به وبحبله علمًا وعملاً وإخلاصًا واستعانة ومتابعة، واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة». (مدارج السالكين: ٣٢٣/٣).

والاعتصام بحبل الله - على هذا النحو الذي حكاه ابن القيم - هو الإسلام المحض والدين الخالص، الذي لا يمثله إلا منهج (الجماعة)، وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا بالسير عليه والدعاء به، والثبات على نهجه، قال ابن تيمية - رحمه الله - « فأَمَرَ الله سبحانه في (أم الكتاب) ـ التي لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، والتي أعطيها نبينا محمد ﷺ من كنز تحت العرش، والتي لا تجزئ صلاة إلا بها ـ أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى، وهذا الصراط المستقيم هو الإسلام المحض، وهو ما في كتاب الله، وهو السنة والجماعة ؛ فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض» (مجموع الفتاوى: ٣٦٩/٣).

وإذا كان الاعتصام بكتاب الله على منهاج السنة والجماعة، بهذه المنزلة من الدين؛ فإن ثماره لا يكاد يحصيها العادُّون، أو يؤدي شكرها الشاكرون، قال ابن القيم: «إن ثمرة الاعتصام به: هي الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا ؛ فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه ؛ فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجبات أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه، فقد تنعقد في حقه أسباب العطب ؛ فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها، ويدفع عنه قدره بقدره، وإرادته بإرادته، ويعيذه به منه» (مدارج السالكين : ١/٤٦٢).

التفسير الوظيفي للآية:

بمزيد من التأمل في سياق قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}، نرى الآية تسوق - عمليًا - إلى الدلالة على أسس النجاة ودعائم الحماية لمن يريد التعلق بحبل الإنقاذ الإلهي، وهو ما امتن الله به على الجيل الأول من هذه الأمة ؛ عندما قال لهم: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا} [آل عمران: ١٠٣].

ذلك أن الله تعالى بعد أن حذر المؤمنين من موالاة وطاعة الكافرين في آية قبلها في قوله: {إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران: ١٠٠]... شرع يبين لهم معالم النجاة على مستوى الفرد في المجال القلبي، وعلى مستوى الجماعات في المجال المنهجي، وعلى مستوى الأمة كلها في المجال العملي والعضوي.

وذلك على الأسس التالية:

الأساس الأول: وهو سبيل للنجاة على

المستوى الفردي في الصورة القلبية ؛ وذلك بطاعة الله وحده امتثالاً للأمـــر واجتنابًا للنهي {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} ؛ فاتقـــاء المحظورات طريق للنجاة من الخطر الأكبر الذي لا خيار في اتقائه، وهو عذاب الله في الدار الآخرة ؛ لأن من خالف طريق التقوى لا يؤُمن عليه أن يموت على غير ملة أهلها ؛ ولهذا قال بعدها {وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْـلِمُونَ} ؛ يعني اثبتـــوا على طريق التقوى وزنـــوا أعمالكم بميزانها طـــوال عمركم، فإن من عاش على شيء مات عليه ؛ ولهـــذا كان النهي عن الموت على غير الإســـلام تكليفاً بالمســـتطاع ؛ إذ في اســـتطاعة كل إنسان أن يثبت بحســـب وُســـعه على طاعة الله طوال عمره، حتى إذا انتهى عمره أتته منيته وهو مسلم.

وقد عرَّف طلق بن حبيب - أحد علماء التابعين - التقوى المأمور بها هنا بقوله: «هي العمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله». وهو كلام وضيء كما ترى ؛ لو وُفق المســـلم في مراقبة نفسه على أساسه لظفر بحســـن الخاتمة ؛ ولم يمت إلا وهو مسلم.

ولو نجح الدعاة في أن يجعلوا ذلك التعريف منطلقًا في التربية الســـلوكية الفردية ؛ لعالج تلقائيًا الكثير من الآفات والأمراض التي تعج بها الساحات الإسلامية ؛ بسبب غلبة المعايير الحزبية والمقاييس الذاتية ؛ التي تفسد المقاصد وتُلبِّس الحقائق.

الأســـاس الثاني: وهـــو ســـبيل النجـــاة على المســـتوى الجماعي في الصورة المنهجية ؛ وذلك باتخاذ منهاج (الجماعة) مرجعًا في الاعتقاد وأصول التشريع وأسس العلاقات ؛ وهذا هو المدلول عليه بقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُـــوا بِحَبْلِ اللَّهِ} وقد تبيّن أن ابن مســـعود - رضي الله عنه - فسّر (حبل الله) بأنه القرآن، وبأنه الجماعة، يعني القرآن على منهاج فهم الجماعة.

الأســـاس الثالث: وهـــو ســـبيل النجاة على مســـتوى الأمة، في الصورة العضويـــة أو النظامية العملية: والمشـــار إليه بقوله: (جميعًا) أي : «كونوا في اعتصامكـــم مجتمعين».. كما قـــال ابن عطية في (المحـــرر الوجيز) ؛ ذلك أنه لا يكفي أن يكون المنهج مرجعية نظرية بل لابدَّ أن يحصل الاجتماع عليه والتعاون لنصرته في الصورة الواقعية.

ثم جاء التأكيد على تلك الأسس الثلاثة بالنهي عن أضدادها في قوله تعالى:

{وَلا تَفَرَّقُوا}

فالفرقة تزداد، بحسب غياب ميزان التقوى على مستوى الفرد، وغياب مقياس المنهج على مستوى الجماعات، وغياب مسلك الاجتماع والوحدة على مستوى الأمة.

وقوله تعالى: {وَلا تَفَرَّقُوا} نهي عن سلوك سبل (أهل الفرقة والبدعة)، مـــن القدماء والمعاصرين، كما أن الأمر بالاعتصام {وَاعْتَصِمُوا} تكليف بسلوك ســـبيل أهل الســـنة والجماعة، فكما أن للاعتصام والاجتماع أصولاً تتبع، في شرائع تمتثل من شعب الإيمان ؛ فإن للفُرقة أسبابًا من المخالفات وشعب العصيان، ولكل منهما أهل.

وشُـــعب العصيان التي توصل للفرقة قد شنع

عليها القــرآن ؛ حتى قرن ســبيل التفرق في الدين بأوصــاف الكافريــن والمشركين، فقال ســبحانه محذرًا من انتهاج طريــق التفريق: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْــمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِــيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِــم فَرِحُونَ} [الروم: ٣١- ٣٢] ؛ وبرأ رســوله من ذلك فقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِــيَعًا لَّسْــتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَــا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩]، ورهَّب من ســوء المصير معهم فقال: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِيــنَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِــكَ لَهُمْ عَــذَابٌ عَظِيمٌ * يَــوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْــوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْــدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَــا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّــا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِــي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِــدُونَ} [آل عمــران: ١٠٥ - ١٠٧]. قال ابن عبــاس - رضي الله عنهما - «تبيضَّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتسوَّد وجوه أهل الفُرقة والبدعة» (انظر: تفسير ابن كثير للآية).

إن من وجــوه الفرقة في الديــن التفريق بين المؤمنين على أُســس غير مشروعــة للولاء والبراء ؛ كتلــك الحزبيــات المقيتة التي تقيــم علاقات القلوب على غــير عُرى الإيمان، مــن الحب في اللــه والبغض في الله ؛ فتحل بدلاً من ذلك الحب لأجل الجماعة - بمعناهــا الضيق - أو لأجل البلد أو الحزب أو الشــيخ أو الزعيم، وكذلك الشأن في البُغض ؛ وهذا مرض عُضال، لا يجوز التعامل مع المسلمين على أساسه بحال، قال ابن تيمية: «وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله ولا ســنة رســوله ﷺ؟ وهذا التفريق الذي حصل من علماء الأمة ومشــايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تســلط الأعداء عليها ؛ وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورســوله، كما قال تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُــوا حَظًّا مِّــمَّا ذُكِّرُوا بِــهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَــدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَــوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: ١٤] ؛ فمتى ترك النــاس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضــاء، وإذا تفرق القوم فســدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحــوا وملكوا، فــإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره : أن هذه الآية نزلت في شــأن الأوس والخزرج ؛ وذلك أن رجلاً مــن اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة ؛ فبعث رجلاً معه وأمــره أن يجلس بينهم ويذكرهــم ما كان من حروبهــم يوم بعاث وتلك الحــروب ؛ ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميــت نفوس القوم وغضب بعضهم عــلى بعض ؛ وتثاوروا، ونادوا بشــعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة ؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول : « أبدعــوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ « وتلا عليهم هــذه الآية، فندموا على مــا كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح، رضي الله عنهم .

الجبرية
ومراحل الحكم التاريخية

الشيخ :عبد الله الأهدل

أخبر النبي ﷺ بجلّ مجريات التاريخ والمستقبل ؛ عن عمر رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. [رواه البخاري (٣١٩٢)].

ومن ذلك مراحل الحكم والأمراء في الإسلام، وقد كان مما حُفظ ما رواه حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير، قال: كنا قعودًا في المسجد، وكان بشير رجلًا يكف حديثه - يعني كان لا يحدث كثيرًا عن رسول الله تورعًا - فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة : أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة : قال رسول الله ﷺ: « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم**

يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة ».

ثم سكت.

قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين - عني عمر- بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فسر به، وأعجبه. [رواه أحمد (١٨٤٠٦) وغيره، وقال الهيثمي في المجمع (١٨٩/٥) : ورجاله ثقات. وحسنه الألباني في الصحيحة (٥)].

وفترة عمر بن عبد العزيز كانت فترة استثنائية، فقد وصل ما انقطع من الخلافة الراشدة؛ حتى ظن من ظن من السلف أنها الخلافة الثانية التي على منهاج النبوة، وليست كذلك، بل هي ضمن مرحلة الملك العضوض الذي تلا الخلافة الراشدة وقبل الحكم الجبري، إلا أن هذه خلافته لم تطل؛ حيث حكم نحو سنتين

ومقتضى هذا الحديث أن إمارة المسلمين تمر بخمس مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى: **مرحلة النبوة:**

وهي مرحلة مبعث النبي ﷺ، وقد كان فيها الخير كله ؛ علم وإيمان وجهاد وقمع للنفاق والكفر وأهله، وانتهت مرحلة النبوة بوفاة النبي ﷺ.

المرحلة الثانية: **خلافة على منهاج النبوة:**

وهي مرحلة الخلافة الراشدة؛ التي حكم فيها أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعًا، وهم الذين قال عنهم النبي ﷺ : « **... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** ». [رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني].

وكانت هذه الخلافة ثلاثين سنة ؛ عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ : « **خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك - أو ملكه - من يشاء** ». قال سعيد : قال لي سفينة : أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا. قال سعيد قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليًّا عليه السلام لم يكن بخليفة. قال: كذبت أستاه بني الزرقاء - يعني بني مروان. [رواه أبو داود (٤٦٤٨) والترمذي (٢٢٢٦) وحسنه، وقال الألباني : حسن صحيح].

والظاهر أن الحسن بن علي رضي الله

عنهما من خلفـــاء النبوة ؛ قال الحافظ ابن كثير - بعد ذكر الخلفاء الأربعة -:... قلت : وتكميل الثلاثين بخلافة الحســـن بن علي نحوًا من ستة أشـــهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة... [البداية والنهاية (٦/٢٢١)].

المرحلة الثالثة : **مرحلة الملك** :

وهـــي مرحلة مـــا بعد خلافـــة النبوة ؛ عن عبـــد الرحمن بـــن أبي بكرة عن أبيـــه أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «..**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**». [رواه أبو داود (٤٦٣٧) وغيره، وصححه الألباني].

وهذه المرحلة ثلاث مراتب:

١- ملك ورحمة:

وقـــد بـــدأت هـــذه المرتبة بخلافـــة أمير المؤمنين معاوية رضي اللـــه عنه، فحُكْمه كان مُلكًا ورحمة، كما جاء في الحديث: «**أول هذا الأمـــر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليه تـــكادم الحمر فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عســـقلان**». [رواه الطـــبراني (١١١٣٨)، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال الألباني: إســـناده جيد. الصحيحة (٣٢٧٠)].

قال ابن تيمية: وجرى بعد موت معاوية من الفتن والفرقة والاختلاف ما ظهر به مصداقُ ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**ســـيكون نبوة ورحمة، ثم يكـــون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك عضوض**».

فكانـــت نبوة النبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانـــت خلافة الخلفاء الراشـــدين خلافة نبوة ورحمة، وكانـــت إمارة معاوية ملـــكًا ورحمة، وبعـــده وقع ملك عضوض. [جامع المســـائل (٥/١٥٤)].

وقال أيضًـــا: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هـــذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك ؛ كان مُلْكه مُلكًا ورحمـــة كما جـــاء في الحديـــث... [مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨)].

١- الملك العاض مع عزة الدين:

والملـــك العاض؛ قـــال عنـــه الملا علي القاري:... «**ثم تكـــون ملكًا عاضًّا**» أي: يعض بعـــض أهله بعضًـــا كعض الـــكلاب «**فيكون**» أي، الملـــك، أي: الأمر على هـــذا المنوال «**ما شـــاء الله أن يكون ثم يرفعها اللـــه تعالى**» أي: تلـــك الحالة... [مرقاة المفاتيح شرح مشـــكاة المصابيح (١٥/٣٣٠)].

ويصيب عامة الناس في هذه المرحلة ظلم، وهو واقع ما بعـــد خلافة النبوة وملك الرحمة، وقد فسره ابـــن الأثير بذلك؛ قـــال: «**ثم يكون ملك عَضُوض**» أي: يصيب الرعية فيه عســـف وظلم كأنهم يُعَضُّون فيـــه عضًّا. والعَضُوض: من أبنيـــة المبالغة، وفي رواية: «**ثم يكون مُلوك**

عُضُوض» وهو جمع: عِضٍّ بالكسر، وهو الخبيث الشرس. [النهاية (٤٩٤/٣)].

وقد بدأت هذه المرحلة بخلافة يزيد بن معاوية، واستمرت حتى أواخر الدولة الأموية.

وفترة عمر بن عبد العزيز كانت فترة استثنائية، فقد وصل ما انقطع من الخلافة الراشدة؛ حتى ظن من ظن من السلف أنها الخلافة الثانية التي على منهاج النبوة، وليست كذلك، بل هي ضمن مرحلة الملك العضوض الذي تلا الخلافة الراشدة وقبل الحكم الجبري، إلا أن هذه خلافته لم تطل؛ حيث حكم نحو سنتين. ولعل قوله: «**إمارة ورحمة**» إشارة إلى خلافة عمر بن عبد العزيز؛ لما فيها من التقليل والتصغير، وبها ينتهي القرن الأول الذي هو أفضل القرون، وهو مجدد المائة الأولى، والله أعلم.

وهنا إشكال ذكره ابن الجوزي وأجاب عنه فقال: وفي الحديث الثاني والسبعين: أتينا أنس بن مالك نشكو إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه «**لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**» سمعته من نبيكم ﷺ. إن قال قائل: ما وجه هذا ونحن نعلم أنه جاء بعد الحجاج عمر بن عبد العزيز، فبسط العدل وصلح الزمان؟

فالجواب: أن الكلام خرج على الغالب، فكل عام تموت سنة وتحيا بدعة، ويقل العلم، ويكثر الجهال، ويضعف اليقين، وما يأتي من الزمان الممدوح نادر قليل.[كشف مشكل الصحيحين (٢٩٤/٣-٢٩٥)].

وعن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي، فسمعته يقول: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة**»، فقال كلمة صمَّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «**كلهم من قريش**». [رواه مسلم (١٨٢١)].

وعلى الأرجح أنهم على التوالي كما يشعر به لفظة: «**إلى**»، وهو الذي رجحه البيهقي والقاضي عياض والحافظ ابن حجر وابن باز.

قال الحافظ ابن حجر: فالأولى أن يحمل قوله: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفة**» على حقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفسًا، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفسًا على الولاء كما أخبر ﷺ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون، ولا يقدح في ذلك قوله: «**يجتمع عليهم الناس**» لأنه يحمل على الأكثر الأغلب؛ لأن هذه الصفة لم تفقد منهم إلا في الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير مع صحة ولايتهما والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير.. والله أعلم، وكانت الأمور في

غالب أزمنة هؤلاء الاثني عشر منتظمة، وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة إلى الاستقامة نادر.. والله أعلم. [فتح الباري (٢١٥/١٣)].

وقال الشيخ ابن باز: فقوله: «**لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا**»: يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس، وحصل به نكبة على المسلمين، وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس، وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم.

والرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يزال أمر هذه الأمة قائمًا**» ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دويلات كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر.. والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي ﷺ بهذا الحديث.. الخلفاء الأربعة ومعاوية رضي الله عنهم، وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، فهؤلاء اثنا عشر خليفة. والمقصود أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك، فإن الدين في زمانهم قائم والإسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين في ظهور دينهم ؛ فدينهم ظاهر وأمرهم قائم وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى.. [مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١٠٠/٤)].

٢- الملك العاض مع ضعف الإسلام:

وهي تبدأ من أواخر الدولة الأموية، وتحديدًا من انتهاء خلافة هشام بن عبد الملك، وهذه المرحلة طويلة تشمل الدولة العباسية وتمتد إلى أواخر الدولة العثمانية، والله أعلم.

المرحلة الرابعة: **مرحلة الملك الجبري**:

وهي مرحلة أشد ظلمًا مما قبلها، وتبدأ من أواخر الدولة العثمانية وإلى يومنا هذا.

قال ابن الأثير: «**ثم يكون مُلك وجَبَرُوت**» أي: عُتُوّ وقَهْر... [النهاية (٦٧١/١)].

وقال الملا علي القاري:... «**ثم تكون**» أي: الحكومة «**ملكًا جبرية**» أي: جبروتية وسلطة عظموتية «**فيكون**» أي: الأمر على ذلك «**ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله تعالى**» أي: الجبرية... [مرقاة المفاتيح (٣٣٠/١٥)].

وتشبه أن تكون هذه المرحلة هي الحكم العسكري الغاشم الذي كان بدايته إزالة الخلافة العثمانية في تركيا قبل نحو مائة عام، وتقاسُم النصارى المنتصرين في الحرب العالمية الثانية بلاد الإسلام وعلو كلمتهم عليها، ثم خروجهم

من بلاد الإسلام عسكريًّا مع بقاء سيطرتهم عليها سياسيًّا واقتصاديًّا، وجعلوا نوابًا لهم عليها ينفذون مخططاتهم في المسلمين وثرواتهم، وهي أسوء مراحل التاريخ الإسلامي، وهو الحكم الجبري..

وقد ورد في حديث أنس مرفوعًا: «إنها نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك عضوض، ثم جبرية، ثم طواغيت». [رواه الداني في السنن الواردة في الفتن (٨٢٤/٤)، وسنده ضعيف؛ الأعمش لم يسمع من شمر].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم؛ دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ؛ ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**». [رواه البخاري (٣٦٠٦)].

وفي قوله: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» قال الحافظ: وفيه إشارة إلى أنهم من العرب. [فتح الباري لابن حجر (٣٦/١٣)].

فقوله ﷺ: «**دعاة على أبواب جهنم..**» أشبه أن يكونوا حكام المرحلة الجبرية، وهم حكام هذا العصر الحديث.

وقوله ﷺ: «**تعرف منهم وتنكر**» أشبه أن يكونوا بحكام الملك العضوض.

وأما الشر الذي يلي خير النبوة في هذا الحديث فهو الانقسام الذي حدث في الأمة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وما تلا ذلك من شرور. ثم حصل الخير بعده باجتماعهم في عام الجماعة وتنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهم جميعًا.

المرحلة الخامسة: **مرحلة خلافة على منهاج النبوة:**

وتعود فيها خلافة على هدي النبوة، وفي هذا بشرى لعموم المسلمين المتمسكين بدينهم.

وقد استظهر بعض أهل العلم أن المقصود بهذه المرحلة هو حكم المهدي؛ قال عبد الحق الدِّهلوي الحنفي: قوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج نبوة**» الظاهر أن المراد به زمن عيسى والمهدي. [لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٥٧٨/٨)].

وقد يفهم ذلك من بعض الأحاديث ؛

فالمهدي يأتي عصره بعد شر وظلم وعدوان يملأ الأرض - وهو أشبه ما يكون بمرحلة الجبرية - مثل حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا**». قال: «**ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وعدوانًا**». [رواه أحمد (١١٣١٣) وابن حبان (٤٩٤١)، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (٥٤٥٤)].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا**». [رواه أبو داود (٤٢٨٢) والترمذي (٢٢٣١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن صحيح].

وقد يكون كذلك، وقد تكون المرحلة الخامسة مرحلة تسبق المهدي، ولا نعلم ما يدل على تأكيد ذلك ولا نفيه ؛ وعليه فليعلم خطأ انتظار بعض الناس للمهدي وترك العمل والقعود عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتكالًا على ذلك ؛ فالأدلة العامة لا تفرق بين منتظري المهدي وغيرهم ؛ كقوله ﷺ: «**مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان**». [رواه مسلم (٤٩)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**». [أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) وغيره، وصححه الألباني].

ومقتضى الصبر على الدين: إقامة أحكام الكتاب والسنة ؛ قال المناوي: «القابض فيهم على دينه كالقابض على الجمر» شبه المعقول بالمحسوس، أي: الصابر على أحكام الكتاب والسنة يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال مثل ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ويقبض عليها، بل ربما كان أشد، وهذا من معجزاته فإنه إخبار عن غيب وقد وقع. [فيض القدير (٥٩٠/٦)].

وأيضًا؛ فإن قيادة المهدي للأمة لا بد وأن تجري وفق السنن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾. (الرعد:١١).

فلا بد من إعداد الجيل الذي سيقوده المهدي للتغيير والإصلاح ؛ فإن المهدي سيقاتل جيوشًا، ومن المعلوم بالضرورة أنه لن يقاتل وحده..

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا يُعزُّ فيه أهل طاعتك ويُذلُّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر... يا سميع الدعاء.

من المسائل الشاغلة في الساحة الإسلامية منذ عقود طويلة ـ والمثيرة للخلافات التي قد تتحول إلى نزاعات ـ مسألة أحكام الديار التي يعيش بها المسلمون اليوم ؛ فهناك من يقول إنها ليست ديار إسلام لأنها لا تُحكم بشريعة الإسلام، ويبنون على ذلك وجوب الهجرة إلى البقاع التي يمكن أن تكون خاضعة لإدارة أو إمارة تقيم الحدود وتنفذ الشرائع، وهناك من يرى خلاف ذلك ؛ فما الجواب الصحيح في ذلك؟

الجواب :

أولاً : الحكم على جميع بلاد المسلمين بأنها ديار كفر منكر وباطل ؛ فديار الإسلام لا تتحول إلى ديار كفر بمجرد تغير نظام الحكم فيها، ولو كان ذلك النظام كافرًا، وتفصيل ذلك أن المراد بالدار : البلد أو الوطن الذي يسكنه فئام من الناس، وتحكمهم سلطة واحدة.

ـ ولا بدَّ في الدّار مِن وجود: الإقليم الجغرافي، والسكّان، والسُّلطة الحاكمة.

وقد اتّفق أهلُ العلم مِن حيث الجملة على أنّ الدّيارَ تنقسم إلى دارين: دار إسلام، ودار كفرٍ، ووردت بذلك الأحاديثُ النّبوية وآثارُ الصّحابة:

- ففي حديث بُرَيْدة رضي الله عنه: أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أرسل سريّةً أو جيشًا أوصى قائدَها قائلًا: (... ادعُهم إلى الإسلام ؛ فإن أجابوكَ فاقبَل منْهم وكُفَّ عنهُم , ثمَّ ادعُهم إلَى التَّحوُّلِ مِن دارِهم إلى دارِ المُهاجرينَ...) رواه مسلم.

- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يقبلُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ من مُشرِكٍ بعدَ ما أسلَم عملًا أو يفارِقَ المشرِكينَ إلى المسلِمينَ) رواه النّسائي وابنُ ماجه بإسنادٍ حسن.

ويُستأنس في ذلك بالآيات الدالة على الهجرة إلى دار الإسلام ؛ كقوله تعالى: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } [الحشر: ٩].

ثانيًا: (دارُ الإسلام): هي البلادُ التي نزلها المسلمون وخضعت لهم، وجرت فيها أحكامُ الإسلام، وكانت المنعةُ والقوةُ فيها للمسلمين، وإن أقام بها غيرهم مِن ذمّيين أو مؤتمنين.

قال ابنُ القيم في «أحكام أهل الذّمّة»:

«قال الجمهور: دارُ الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكامُ الإسلام».

فالعبرةُ في الحكم للدّار بكونها دارَ إسلام - ابتداءً - هو خضوعُها لسلطةِ المسلمين، وجريانُ أحكامهم فيها، ولا يُشترط أن يكون سكانُ هذه الدّار كلُّهم أو معظمُهم مِن المسلمين.

و(دارُ الكفر): هي الدّار التي تجري فيها وتعلوها أحكامُ الكفر، ولا يكون فيها السّلطانُ والمنعةُ بيد المسلمين، وإنْ أقام بعضُهم بها.

وتنقسم دارُ الكفر إلى قسمين:

١- دار الحرب: وهي دار الكفر التي ليس بينها وبين المسلمين عهدٌ ولا أمان، ولا يلزم أن تكون الحربُ قائمةً بين الكفّار والمسلمين، بل يكفي عدمُ وجود ما يمنعها مِن عهدٍ أو أمان.

٢- ودار العهد: وهي دارُ الكفر التي بينها وبين المسلمين عهدٌ بترك القتال ـ مِن صلحٍ أو هدنة.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: « كانَ المُشْرِكُونَ علَى مَنْزِلَتَيْنِ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمُؤْمِنينَ؛ كَانُوا مُشْرِكي أَهْلِ حَرْب، يُقَاتِلُهُمْ ويُقَاتِلُونَهُ، ومُشْرِكي أَهْلِ عَهْدٍ، لا يُقَاتِلُهُمْ ولَا يُقَاتِلُونَهُ » رواه البخاري في صحيحه.

ثالثًا: الحكمُ على الدّار بإسلام أو كفر ليس وصفًا لازمًا لا ينفكّ عنها أبدًا، بل قد تتغيَّر الأحكامُ وتتبدَّل بين زمنٍ وآخرَ باختلافِ الحُكم والسُّلطة فيها، وطبيعةِ مَن يسكنُها، فقد تكونَ الدّولةُ دارَ كفرٍ في زمنٍ، وتتحوّلُ إلى دار إسلامٍ في زمنٍ آخر، وبالعكس أيضًا.

قال ابنُ تيمية في «الفتاوى»: «وكونُ الأرضِ دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفةً لازمةً لها ؛ بل هي صفةٌ عارضةٌ بحسب سكانها، فإنْ سكنها غيرُ ما ذكرنا وتبدّلت بغيرهم فهي دارُهم».

وقال الكاساني في «بدائع الصّنائع»: «لا خلافَ بين أصحابنا في أنّ دارَ الكفر تصير دارَ إسلامٍ بظهور أحكامِ الإسلام فيها».

رابعًا: تعدَّدت أقوالُ الفقهاء وآراؤهم في تحوّل (دار الإسلام) إلى (دار كفر) ومتى يُحكم بتحوّلها، ولهم في هذه المسألةِ خمسةُ أقوالٍ مشهورة:

أولها: أنّ الدّارَ التي ثبت كونُها دارًا للإسلام لا تصير دارَ كفرٍ مطلقًا، وإن استولى عليها الكفارُ، واندرست منها معالمُ الدِّين.

وهو ما نصَّ عليه جمعٌ مِن علماء الشافعية.

فذكر النّووي في روضة الطّالبين أنّ لدار الإسلام ثلاثَ صورٍ: « دَارٌ يسكنها المسلمون...، ودارٌ فتحها المسلمون وأقَرُّوها في يد الكفّار بجزيةٍ...، ودَارٌ كان المسلمون يسكنونها ثم جَلَوْا عنها، وغَلَبَ عليها الكفّار».

أنّ الأصلَ في الشّرع بقاءُ ما كان على ما كان، ولا يُنتقل عن حُكم الأصل حتى يثبت ما ينقلـه، فالبلدُ الذي ثبت كونُـه مِن دار الإسـلام بيقينٍ لا يتغيّر حكمُـه حتى يثبت الدّليلُ السّـالمُ مِن المعارض المقتضي لذلك.

وقال ابنُ حجر الهيتمـي في «تحفة المحتاج»: «ما حُكم بأنّه دارُ إسـلامٍ لا يصير بعد ذلك دارَ كفرٍ مطلقًا».

وقـال الرّملي في «نهاية المحتاج»: «ومِنها ـ أي: مِن دار الإسـلام ـ ما عُلم كونُه مسكنًا للمسلمين، ولو في زمنٍ قديم، فغلب عليه الكفّارُ كقرطبةَ ؛ نظرًا لاستيلائنا القديمَ».

▫ وثاني الاقوال : أنّ (دارَ الإسلام) لا تتحوّل إلى (دار كفـرٍ) إلا باجتماعِ شروطٍ ثلاثةٍ تدلُّ على تمام القهر والغلبة للمشركينَ عليها.

وهو قول الإمام أبي حنيفة.

قال التّمرتاشي الحنفي في «تنوير الأبصار»: «لا تصيرُ دارُ الإسلام دارَ حربٍ إلا: بإجراء أحكام أهلِ الشّركِ، وباتّصالها بـدارِ الحرب، وبأنْ لا يبقى فيها مسلمٌ أو ذميٌّ آمنًا بالأمانِ الأوّلِ».

▫ وثالـث الأقوال : أنّ (دارَ الإسـلام) لا تتحوّل إلى (دارِ كفرٍ) بمجرّد استيلاء الكفّار عليها، وإظهار أحكامهـم فيها ما دام المسـلمون يقيمون شـعائرَ الإسلام فيها.

قال الدّسـوقي - مِن المالكية - في حاشيته على «الشّرح الكبير»: «بلادُ الإسـلام لا تصير دارَ حربٍ بمجرَّد اسـتيلائِهم عليهـا، بل حتى تَنقطـعَ إقامةُ شعائرِ الإسـلام عنها، وأمّا ما دامت شعائرُ الإسلامِ أو غالبُها قائمةً فيها: فلا تصيرُ دارَ حرب».

▫ ورابـع الأقوال: أنّ (دار الإسـلام) تتحول إلى (دار كفر) إذا استولى عليها الكفّارُ، وأظهروا أحكامَ الكفر فيها.

وهـو قول أبي يوسـف ومحمـد ـ صاحبي أبي حنيفة ـ وقال به بعضُ الحنابلة.

قال الكاسـاني في «بدائـع الصنائع»: «وقال أبو يوسـف ومحمد رحمهما الله: إنَّها تصيرُ دارَ الكفر بِظهورِ أحكامِ الكفرِ فيها... فإذا ظهرَ أحكامُ الكفر في دارٍ فقد صارت دارَ كفر».

▫ وخامـس الأقـوال : أنّ الدّيارَ الإسـلاميةَ التي استولى عليها الكفّارُ، وأظهروا فيها أحكامَهم، ولكن بقي أهلُها مِن المسـلمين: لا تتحوّل إلى دار كفرٍ ولا تكون دارَ إسلام، بل تكون دارًا مركّبة مِن الأمرين.

وهو قولُ ابنِ تيمية كما في فتواه الشّهيرة في أهل «ماردين»، وهي بلدةٌ أهلُها مِن المسـلمين، ودخل جندُها وحكامُها تحت سلطة التّتار.

فقد نقل ابن مفلح في «الآداب الشرعية» عن ابن تيميـة قوله في ماردين: «هي مركَّبـةٌ فيها المعنيان؛ ليست بمنزلة دارِالإسـلام التي يجري عليها أحكامُ الإسـلام لكون جندهـا مسـلمين، ولا بمنزلة دارِ الحربِ التي أهلها كفارٌ، بل هي قسـمٌ ثالثٌ يُعامل المسـلمُ فيها بما يسـتحقُّه، ويُعامـل الخارجُ عن شريعة الإسلام بما يستحقّه».

هذا مجملُ أقوال الفقهاء في المسألة، وهي مِن

مسائل الاجتهاد النازلة بعد عهد الصّحابة والتّابعين، وليس فيها نصٌّ شرعيٌّ حاسم.

والـذي يظهـر أنّـه أقـربُ لأصـول الشّريعـة ومقاصدهـا: أنَّ (دارَ الإسـلام) لا تتحوَّل إلى (دارِ كفـرٍ) إلا إذا غلـب عليهـا الكفّـارُ أو المرتدّون، وظهرت فيها أحكامُ الكفر، واندرسـت منها معالمُ الدّين وشعائرُ الإسلام الظّاهرة ؛ كالأندلس.

أمّـا إذا لم تكن أحـكامُ الكفر هـي الظّاهرة، أو بقيت شعائرُ الإسلام ظاهرةً مِن أذانٍ وصلاةِ جماعةٍ وجمعة وصيـام وأعياد ونحوها، والمسـلمون هم أهل البلد: فـلا تكون دارَ كفرٍ، ولـو كان حكامُها وذوو السّلطان فيها لا يحكمون بشريعة الإسلام.

وقد سُـئل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) عن عَدَن هل هي دارُ كفرٍ أم إسـلام؟ مع أنّ أكثرَ أهلِها مِن المسـلمين تُقام فيهم الجمعة والجماعة، ولكن الشّوكة فيها للإفرنج، وكذلك نظائرها مِن بلاد الهند.

فقـال: «أمّـا الأقطـار التـي اسـتولى عليهـا المسلمون، وغلبوا عليها منذ الفتوحات الإسلامية أيام الدّولتين الأموية والعبّاسـية وهلـمّ جرّا، فبعد ظهور كلمة الإسلام بهذا المعنى هي دارُ الإسلام... فمتى علمنا يقينًا ضروريًا بالمشـاهدة أو السّـماع المتواتر أنّ الكفّارَ استولوا على بلدٍ مِن بلاد الإسلام التي تليهم، وغلبوا عليهـا وقهروا أهلَها، بحيث لا يتمُّ لهم إبرازُ كلمة الإسـلام إلا بجوارٍ مِن الكفّار: صارت دارَ حرب وإن أقيمت فيها الصّلاة».

ثـمّ قال: «وبمـا حرّرناه تبيّن لـك: أنّ عدن وما والاها إنْ ظهرت فيها الشـهادتان والصّلوات - ولو ظهرت فيها الخصال الكفرية - بغير جوار: فهي دارُ إسـلام، وإلا فدار حرب، وكذا سائر بلاد الهند وما والاها، الحكم عليها بهذا الاعتبار».

نقله عنه صدّيق حسن خان في كتابه «العبرة بما جاء في الغزو والشّهادة والهجرة».

ومقصودُ كلامه: أنّ الشّـعائرَ الإسلاميّةَ إذا كان يفعلهـا المسـلمون بقوّتهـم ونفوذهـم: فهي دارُ إسـلام، بخلاف البلادِ التي لا يسـتطيع المسلمون إظهارَ شعائرِ دينهم إلا بإذن الحاكم وحمايته.

خامسًـا: بناءً على ما سبق، فإنّ البلادَ الإسلاميّةَ اليوم بمجملها (دارُ إسـلام) ؛ لأنها تحت سـلطان المسـلمين وهم المالكون لها، وتظهر فيها أحكامُ الإسلام وشعائره، ولا يُخرجها عن ذلك ما فيها مِن حكم بالقوانـين الوضعية؛ فالحكم على الدّار ليس حكمًا بالضّرورة على السُّلطة الحاكمة لها.

ويدلُّ على ذلك:

- أنّ الأصـلَ في الشّرع بقاءُ ما كان على ما كان، ولا يُنتقل عـن حُكم الأصل حتى يثبـت ما ينقله، فالبلـدُ الذي ثبـت كونُه مِن دار الإسـلام بيقينٍ لا يتغيّر حكمُه حتى يثبت الدّليلُ السّالمُ مِن المعارض المقتضي لذلك.

وكـما ينبغـي التّحرُّز في الحكم على المسـلم بكفرٍ طرأ عليـه ؛ فكذلك ينبغي التّحرُّز في الحكم على البلاد حتى يتحقّـق الموجِب الشّرعي لذلك، وينتفي المانع.

قال الكاسـاني في «بدائع الصّنائع»: «فلا تصيرُ دارُ الإسـلام بيقينٍ: دارَ الكفرِ بالشّـكِّ والاحتمال، على الأصـلِ المعهـود: أنّ الثّابتَ بِيَقـينٍ لا يزولُ بالشّكِّ والاحتمالِ».

العَلَمُ الأشَمّ .. مَفْخَرَةُ أهْل العِلْم

الشَيْخ حُمُود بِنْ عَقْلا الشُعَيْبِي

مثال يحتذى للعالم المجاهد

هــو العلامة الفقيه الأصــولي : أبو عبد الله حمود بن عبد الله بن عقلاء بن محمد بن علي بن عقلاء الشــعيبي الخالدي، من آل جناح من قبلية بني خالد، وُلد في بلدة الشقة من أعمال بريدة سنة ١٣٤٦هـ ونشــأ فيها، وعندما بلغ السادسة ألحقه والده بالكتّاب ؛ فتعلم القراءة والكتابة والحساب وأتقنها، ثم انتقل إلى قراءة القرآن ولما بلغ السابعة من عمره كُفّ بصره بســبب مرض الجدري الذي عمّ قديمًا الكثير مــن مناطق المملكة، ومع ذلك واصل دراســته في الكتَّــاب، وحرص والده على إتمامــه حفظ القــرآن فأتمه وهو في ســن الثالثة عشر، وضبط حفظه وتجويده في الخامســة عشر من عمره.

ورغم أنه قد كُفّ بصره وهو صغير، فقد كان يساعد والده بما يستطيع في تلقيح نخل مزرعته.

ثم رحل الشيخ إلى الرياض لطلب العلم، وذلك في سنة ١٣٦٧هـ بإشارة من والده ؛ فبدأ بتلقي العلوم على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وأكمل الأجرومية والأصول الثلاثة والرحبية في الفرائض، والقواعد الأربعة، حتى أكملها فهمًا وحفظًا.

ثم انتقل للقراءة على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ سنة ١٣٦٨هـ ؛ فقرأ عليه مبتدئًا بقراءة زاد المستقنع، ثم كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والواسطية لشيخ الإسلام، والأربعين النووية، وألفية ابن مالك، وبلوغ المرام، وقرأ كُتبًا بمفرده على الشيخ محمد بن إبراهيم، مثل : الطحاوية، والدرة المضيئة للسفاريني والحموية لابن تيمية، وكان يحفظها حفظًا. واستمر في القراءة حتى فُتح المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ ؛ وهو أول معهد يفتح في المملكة.

وزامله في الدراسة على الشيخ محمد بن إبرهيم كثيرون ممن برزوا واشتهروا بعد ذلك، منهم : الشيخ صالح بن علي الغصون، والشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل الأسبق، والشيخ علي بن سليمان الرومي.

وقد درّسه الشيخ عبد العزيز بن باز ـ في المعهد العلمي ـ التوحيد والحديث، ودرس التفسير على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والفقه على الشيخ عبد العزيز بن رشيد، ودرس الإنشاء والإملاء على الشيخ عبد الله الخليفي والشيخ حمد الجاسر، ودرّسه آخرون من أهل مصر النحو والبلاغة.

وقد تتلمذ على الشيخ أثناء تدريسه في المعهد والجامعة : الشيخ المفتي عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الإسلامية سابقًا، والدكتور عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل الأسبق، والشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء

انتقل الشيخ بعد الدراسة في المعهد العلمي للدراسة في الكلية، وكان هذا في عام ١٣٧٤هـ.

وبعد التخرج عُين مدرسًا في المعهد، وذلك عام ١٣٧٦هـ وذلك لمدة سنة واحدة، ثم نُقل للتدريس في الكلية وذلك عام ١٣٧٧هـ، وبقي فيها إلى عام ١٤٠٦ هـ ـ ١٤٠٧ هـ، طلب بعدها أن يحال للتقاعد.

وقد تتلمذ على الشيخ أثناء تدريسه في المعهد والجامعة : الشيخ المفتي عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الإسلامية سابقًا، والدكتور عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل الأسبق، والشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، والشيخ غيهب الغيهب،

وقاضي التمييز الشيخ عبد الرحمن بن صالح الجبر، وقاضي التمييز عبد الرحمن بن سليمان الجار الله، وقاضي تمييز عبد الرحمن بن عبد العزيز الكِليِّة، وقاضي تمييز عبد الرحمن بن غيث، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان رئيس محاكم منطقة القصيم سابقًا، والشيخ سليمان المهنا رئيس محاكم الرياض، والشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد الرئيس العام الأسبق لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشيخ الدكتور عبد الله الغنيمان، والشيخ حمد بن فريان وكيل وزارة العدل الأسبق.

وكذلك درّس في كلية الشريعة كلاً من : الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى الأسبق، والشيخ محمد الصالح العثيمين.... ولكن في دروس إضافية في حال غياب بعض مدرسيهم.

ومن طلاب الشيخ الذين درسهم في القصيم : الشيخ سلمان بن فهد العودة، والشيخ علي بن خضير الخضير.

وقد أشرف الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي على رسائل كثيرة للماجستير والدكتوراه.

مؤلفات الشيخ : ألّف الشيخ حمود العقلا عددًا من البحوث والكتب، منها : بحث في الإمامة العظمى، ومنها بحث بعنوان : البراهين المتظاهرة على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخرة، وبحث بعنوان : القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار، وكان له مشاركة مع الشيخ عبد المحسن العباد والشيخ عطية سالم في كتاب تيسير الوصول، وللشيخ مجموعة من الفتاوى تصل لمائة فتوى، فيها نقد لبعض الأمور الواقعة وبيان بعض الأحكام.

وكان الشيخ يدرّس في الجامعة جميع المواد التي تُدرس في كلية الشريعة : التوحيد، والفقه، والفرائض، والحديث، والأصول، والبلاغة، والنحو.

وقد شارك في تقويم أعمال بعض المشايخ لترقيتهم ؛ حيث أرسلت له الجامعة الإسلامية أعمال عدد من المشايخ والدكاترة لتقويم عملهم لترقيتهم، ومنهم : الشيخ عبد القادر شيبة الحمد، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ محمد أمان الجامي الصومالي، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، وكذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين.. عن طريق جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وكانت للشيخ مشاركات في وسائل الإعلام المقروءة، حيث شارك في الكتابة في صحيفة كانت تصدر من القصيم وتسمى (صحيفة القصيم)، وكتب فيها سلسلة ردود على ثلاثين خطأ للشيخ محمد خليل هراس في شرحه للواسطية ؛ وقد تراجع الشيخ الهراس عن هذه الأخطاء وعدلها.

وطلب الشيخ المشاركة في الإذاعة السعودية

؛ ولكن لم يسمح له بهذا.

مؤلفات الشيخ : ألّف الشيخ حمود العقلا عددًا من البحوث والكتب، منها : بحث في الإمامة العظمى، ومنها بحث بعنوان : البراهين المتظاهرة على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخرة، وبحث بعنوان : القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار، وكان له مشاركة مع الشيخ عبد المحسن العباد والشيخ عطية سالم في كتاب تيسير الوصول، وللشيخ مجموعة من الفتاوى تصل لمائة فتوى، فيها نقد لبعض الأمور الواقعة وبيان بعض الأحكام.

كانت أول حجة حجها الشيخ عام ١٣٧٨هـ، وكانت بالسيارة على طرق صحراوية غير ممهدة ؛ ولذلك استغرقت المسافة من الرياض إلى مكة تسعة أيام ؛ فالسيارات كانت غير جيدة والطريق كان صعبًا.

وللشيخ ـ رحمه الله ـ آراء صريحة ؛ كان يقول فيها ما تمليه عليه الأمانة العلمية.

وقد سُئل الشيخ عن رأيه في الانتساب للجماعات الإسلامية ؛ فقال : « المسلمون جماعة واحدة وحزب واحد، وهم الذين على الكتاب والسنة، ولكن هذه الجماعات الحادثة هي التي أضعفت الدعوة وفرقت الأمة إلى فرق وأحزاب، والذي يوافق الكتاب والسنة من هذه الجماعات هو الحق، أما من حيث التفرق والتجزء والافتراق فهذا شر حدث من أعداء المسلمين ؛ لأن أعداء الإسلام يدركون أن الإسلام الصحيح خطر عليهم ؛ لذلك هم يبذلون جهودًا ليفرقوا بين المسلمين حتى لا تقوم لهم قائمة، وهذا التفرق لا يجوز وهو يضعف الأمة، ويجب على الجميع الاجتماع على الكتاب والسنة والنصرة بين المسلمين، أما كل جماعة تسب الأخرى وتعيرها فهذا خطأ ولا يجوز، قال تعالى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا « [آل عمران : ١٠٣]، وقال تعالى : « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ « [الأنعام : ١٥٣]، واتحاد المسلمين هو أصل القوة والعزة، وهو سبب النصر والتمكين «.

وسُئل ـ رحمه الله ـ عن قيام العلماء في هذا الزمان بواجبهم تجاه الله تعالى ودينه ؛ فقال :

« علماء الشريعة أوجب الله عليهم واجبًا وحملهم أمانة ؛ وهي أن يقولوا الحق ولا يخافون فيه لومة لائم، هذا واجب على علماء الشريعة مهما كان منصب العالم منهم، ومهما كانت مكانته، يجب عليه أن يقوم بهذا الواجب وأن يقوم بهذه الأمانة، يجب الرد على أعداء الإسلام، وبيان دين الله وإنكار المنكرات و إصلاح الفساد، والدفاع عن الشريعة وأحكامها، وأن يكون هذا همهم، ولا يحل لهم ترك شيء من ذلك محاباةً لفلان أو إرضاء لفلان، بل يكون هدفهم رضا الله سبحانه ورضى المسلمين لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ : « من التمس رِضا اللهِ بسخَطِ الناسِ

؛ رضيَ اللهُ عنه، وأرْضى عنه الناسَ، ومن التَمس رضاَ الناسِ بسخَطِ اللهِ، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليــه النــاسَ» [صحيح الترغيــب : ٢٢٥٠] ؛ فحمل العلماء ثقيل والأمانة التي حملوها عظيمة، ولا ينبغي أن ينظروا إلى حاكم ولا كبير ولا صغير ولا عامــة ولا خاصة ؛ بــل يصدعون بالحق رغم كل كاره له، أما إذا تقاعســوا وتركوا ما أوجبه الله عليهم بتأويل أو ما أشــبه ذلــك ـ يريدون إرضاء فلان أو فلان ـ فهم خاسرون ؛ لأنهم لم يقوموا بما أوجب الله عليهم من الأمانة والتكاليف الخاصة التي حملّهم اللــه إياها، والإنــكار على من خالف شرع اللــه مــن حاكم أو محكوم ؛ فينبغي للعلماء أن تكون مواقفهم مع الله فلا يبالون بأحد سواه ؛ هذا الذي يجــب، كما يجب عليهم بــذل النصح لولاة الأمور ؛ فاللــه منّ عليهم بعلم وتفضل عليهم به وجعلهم من حملته فعليهم أن يؤدوا واجبه ويقوموا بما فرض الله عليهم فيه.

« إن سيدًا ـ رحمه الله ـ يُعد في عصره عَلمًا مــن الأعلام أصحاب منهج مقارعــة الظالمين والكفــر بهم، ومن أفذاذ الدعــاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعــوة إلى توحيــد التحاكــم إلى الله؛ فلم يقضّ إلا مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبد الناصر وأمثاله

وكانت للشــيخ - رحمه اللــه - مواقف قوية في تأييــد من يراهم على حق، والتنديد بمن يراهم على باطل، وقد ســئل رحمه الله عن سبب تزكيته المبكرة لحكومة طالبان الإســلامية عندما ظهرت دولتهــم الأولى، وما إذا مــا كان في هذه التزكية تعجــلاً وقتها ؛ فقال : « أنا أرى أن الأمر اســتتب لهم، وأن حكمهم عام على أفغانستان، ولم يخرج على حكمهم إلا القليل من أرض أفغانستان، وقد زكيتهم لأنهم يعلنون أن الشريعة هي دســتورهم الوحيــد ويحاربون كل ما عــدا ذلك، بل نرى أن النصارى واليهــود والملاحدة وأعوانهم يضربون الحصار الاقتصادي على أفغانستان ويحاربونها ؛ فلماذا هذه الحــرب؟! لأنهم يحكّمون كتاب الله وســنة نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَــلَّمَ ـ في كل شيء ؛ وهذا أكبر دليل على أن طالبان دولة إسلامية رشــيدة تطبق أحكام الله، ولا أدل على ذلك من حملتهم على أصنام بــوذا وتهديمها مع معارضة دول الكفــر وتهديدهــم لها ـ وكذا المستســلمون الذين نصروا الكفار على إخوانهــم المســلمين، وأفتوا بحرمة هذا الهدم ـ ونحن نحكــم بأنهم دولة إسلامية بما يظهرون لنا «.

ولما قيل لــه : إنهم يحمــون القبــور ومزارع الأفيون ؛ قال : « الذي ثبــت لنا أنهم بدأوا بإزالة القبور ومنع عبادتها وإزالة مزراع الأفيون، وأقاموا بــدل الأفيون مــزارع القمح.. ثم لمــاذا لا ننظر للدول التــي تحمــي القبور ومدارســها صوفية وتدعــو للشرك؟! لماذا لا نقول عــن هذه الدول إنها غير إسلامية؟! كل الدول الإسلامية فيها الحق والباطل».

وسُئل الشيخ عن موقفه من بعض حكومات

الدول الإسلامية، التي تقول : لو طبقنا الشريعة نخشى أن نُقتل أو نُقاتل ؛ فهل هذا عذر في ترك تطبيق الشريعة واستبدالها بالقوانين؟

فقال : « قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۘ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۘ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۘ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) [المائدة : ٥١، ٥٢] ؛ فهم اعتذروا ؛ فقالوا : « نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ »، فلو أن الحكومات وقفوا مع الله وصدقوا مع الله ؛ وتركوا دول الكفر ونبذوا معاملتهم وعلاقاتهم معهم، واستعانوا بالله وبما أعطاهم من القوة في المال والبلدان والرجال لانتصروا على أعداء الله الكَفَرة ؛ ولنا مثال يبين هذا : فهذا الاتحاد السوفيتي قاتل أفغانستان... والذين قارعوهم أناس قليلو المال والسلاح ؛ ومع هذا أخرجوهم أذلاء حقراء، بل تسببوا في تفكك دولتهم فأصبحت أثرًا بعد عين، فهل الأفغان أكثر وأقوى من دول الإسلام مجتمعة؟؟ : لا، ولكن الجبن والخور وحب الدنيا وملذاتها هو الذي يجعلهم يحكّمون القوانين ويتركون تحكيم الشريعة ».

وسُئل الشيخ عن حكم ترك تحكيم الشريعة؟

فقال : « من حكّم القوانين واعتمد عليها، وأبعد الشريعة وأزاحها عن مجال الحكم فهذا كافر ؛ لقوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة : ٤٤].. جاء المتحذلقون من مرجئة العصر ـ بل من مرجئة الجهمية قبلهم ـ وقالوا : إن هذه الآية لا تدل على كفر من أبعد الشريعة عن التحكيم ؛ لأنها نزلت في اليهود ولسنا مخاطبين فيما خوطب به اليهود، وما عرف هؤلاء القاعدة الأصولية التي تقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ والآية هنا عامة فلفظ « مَنْ « عام ؛ لأنه من صيغ العموم فهو عام لليهود وغيرهم، وقالوا : إن ابن عباس قال : كفر دون كفر ؛ وهذا ليس ثابت عن ابن عباس ؛ فهذا من رواية هشيم بن حجير عن ابن عباس ؛ وهشيم معلوم أنه مُتكلم فيه ومطعون فيه، وأيضًا أن طاوس روى عنه ابنه عبد الله ـ وهو ثقة، وهو أعرف بأبيه من هشيم أن ابن عباس رضي الله عنه قال : هي به كفر، والمهم أن رواية هشيم عن ابن عباس: (كفر دون كفر) ساقطة لا يحتج بها بمقتضى هذا، ثم قوله سبحانه وتعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء : ٦٥].. هذه الآية صريحة أصرح من التي قبلها ؛ فقد أقسم سبحانه أنه لا يحصل الإيمان من هؤلاء حتى تحصل ثلاث غايات : أولاً : التحكيم، ثانيًا : التسليم لهذا الحكم، ثالثًا : الرضى به وقبوله.. فهل هذه الثلاثة موجودة في القوانين التي وضعها البشر الكفرة الفجار؟... إذن الذي يحكّم القوانين ويزيح الشريعة كافر ؛ لا شك في كفره بكلام الله وكلام رسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وكلام

السلف الصالح «.

وسُئل الشيخ : ما حكم ترك الجهاد ـ الذي نراه في هذا الزمان ـ واتهام المجاهدين أنهم إرهابيون؟

فقال : « ترك الجهاد بهذ العلة والتسمية كفر ؛ لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ : (.... حتى تَراجعوا دينَكُم) [صحيح أبي داود: ٣٤٦٢] ؛ فهذا يدل على أن ترك الجهاد كفر ـ والعياذ بالله ـ ثم إن الأمة إذا تركت الجهاد وأعرضت عنه وتركت الأعداء يعيثون في بلاد المسلمين الفساد ثم لم تقم ولم تجاهد فهؤلاء خرجوا عن دينهم ؛ لأن الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ قال : (.... حتى تَراجعوا دينَكُم)، فالجهاد لم يوصم من قِبل المسلمين في العصور السابق بأنه إرهاب أو اعتبروا المجاهدين إرهابيين، والسبب لا يخفى على من له أدنى بصيرة «.

وللشيخ رحمه الله شجاعة قل نظيرها في الجهر بكلمة الحق، ولو كانت كما يقولون ـ سباحة ضد التيار ـ فمع بدء الحملة الحقيرة المغرضة ضد سيد قطب، والتي بدأتها ألسنة أدعياء للسلفية، ثم تلقفتها أقلام ليبرالية ؛ لتتحول بذلك إلى سياسات حكومية..

قال العلامة الكبير رأيه في ذلك المفكر الأثير، وكان مما قال : « إن سيدًا ـ رحمه الله ـ يُعد في عصره عَلمًا من الأعلام أصحاب منهج مقارعة الظالمين والكفر بهم، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله؛ فلم يقضّ إلا مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبد الناصر وأمثاله.. وما فرح أحد بقتله كما فرح أولئك، ولقد ضاق أولئك الأذناب بهذا البطل ذرعًا، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يُحيي منهجه ويشعل كلماتِه حماسًا ؛ فزاد قبوله بين المسلمين وزاد انتشار كتبه ؛ لأنه دلّل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه ؛ فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبة منهم لقتل منهجه أيضًا، وأنّى لهم ذلك.

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافًا مجردًا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وُجدت له العثرات، فعنده أخطاء لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يُقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين «.

كذلك فإن الشيخ - أعلى الله مقامه - وقف بكل صلابة مع حركة طالبان، عندما بدا أن عالم شياطين الإنس يتربصون بها الدوائر للنيل منها والإجهاز عليها لتفردها بين دول العالم وقتها بالشروع الصادق في إقامة الشريعة ؛ فما كان من الشيخ إلا أن أرسل رسالة شخصية للملا أمير ـ أمير دولة أفغانستان وقتها ـ جاء فيها :

« أمير المؤمنين.. إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها، ولكننا نهنئكم بالنصر الحسّي مقدمًا بإذن الله تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم أيضًا بالنصر الحقيقي الذي حققتموه ؛ فلقد انتصر مبدؤكم وقولكم على مبادئ أعدائكم. إن أعداءكم يكذبون

في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان وأهل الحرية والمساواة. وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ؛ ليظهر للخاص والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد؛ فظهر حقًا مَن الذي يقتل الأبرياء، وعرفْنا مَن الذي لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات ووحدة الأديان التي يدعون إليها.. إنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط؛ فهنيئًا لكم هذا النصر، لقد ميّزتم العالم إلى خندقين وجلّيتم الحقائق لكل مغفّل ؛ يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على الله كلَ معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين.. وكما فضح صمودُكم كذب الكفار في دعواهم؛ فقد وضّح للمسلمين أيضًا معانٍ كانت غائبة أو كادت تندرس... صمودُكم علَّمَنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين... صمودُكم جدَّد الولاء والبراء... صمودكم جدد مفهوم الجهاد ومفهوم النصر والهزيمة... صمودكم علَّمنا معنى التضحية والبذل لله تعالى.

لقد بلغنا أنكم أُغريتم بمُلك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة والترهيب أخرى لتُبدوا شيئًا من التنازل عن مبادئكم. وتأكدنا حقًا لو أنكم أردتم الدنيا لا الآخرة لأمكنكم ؛ بالتنازل عن بعض مبادئكم ؛ وحينها تكونون أغنى أهل الأرض ؛ ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء..».

ولصلابة الشيخ في الحق ولبعده عن المداهنة؛ فقد تحامل عليه كثيرون من المشهورين، إلا أن الله تعالى حفظ قدره في قلوب أهل العلم والحكمة، وختم له بما نحسبه خاتمة حسنة.

توفي الشيخ في يوم الجمعة في (٤ / ١١ / ١٤٢٢ هـ)، وكان رحمه الله يعاني من ضعف في عضلة القلب، وجاءته نوبة ؛ فسقط في بيته بين أبنائه وأحبابه قبل آذان المغرب بدقائق ؛ فأُخذ إلى المستشفى فاتضح أنه أصيب بجلطة في قلبه، وأُدخل رحمه الله العناية المركزة، فجلس ساعة ونصف ساعة تقريبًا، ثم توفي رحمه الله.

ثم حُمل إلى جامع الخليج ببريدة، وصُلي عليه العصر، وتَبع جنازته من الناس عشراتُ الآلاف في مشهد عظيم لم يُعرف له مثيل في بلاد القصيم، ثم وُضعت جنازته ليصلي عليها قبل دفنها من لم يصلِ عليها في المسجد ؛ فجاءت الجموع تلو الجموع بالعشرات بل بالمئات.

وقد تتابع المسلمون بعد دفنه للصلاة عليه ـ ممن لم يصلِ عليه منهم ـ قريبًا من الشهر بل أكثر.

رحمه الله وأجزل مثوبته ورفع درجاته في عليين.

د.عادل الشيخاني

معالم منهج أهل السنة في التزكية

الإخلاص

فإن الإخــلاص دثار الموحديــن وقرة عيون عباداللــه الصادقين، وغايــة الأماني والمرام في طريقة العبودية للواحد العلاّم، فترى العبد الصادق الموحد لايفارق الإخلاصُ قلبه وعمله وحركاته وســكناته، فهو يلاحظ الإخلاص ويراقب رضى ربه في اللحظات والخطــرات والخطوات،همه الدائم وشغله الشاغل تجريد التوحيد عن أدران الشرك والتنديد، وتصفية الأقــوال والأفعال من الرياء والسمعة والشهوة الخفية.

فغاية مناه من أول يوم يشــهد فيه أن لا إله الا الله وأن محمداً رســول الله أن يقول ويعمل لله وبالله وفي الله ويدعو ربه جل وعلا صباح مساء، أن لايجعل لأحــد في قوله وعمله نصيباً، وذلك لأنهــم يعرفون قيمة الإخــلاص وأهميتها وعلو درجتها عند الله تعالــى ويعلمون أن الإخلاص

ولاينال الشفاعة الا الموحد المخلص(أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ).أخرجه البخاري

هو روح العبادة، ومفتاح قبولها عند الله، وأنه لا نجاة إلَّا بالإخلاص ولاقبول إلَّا بالإخلاص(إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهُه) أخرجه النسائي/٣١٤٠بإسنادحسن، ولا خلاص من كيد النفس والشيطان إلَّا بالإخلاص (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[ص: ٨٢ - ٨٣]. (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف:٢٤]

ولاينال الشفاعة الا الموحد المخلص(أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ).أخرجه البخاري

وَأَنَّ الجنةَ لا تصلح إلا لأهله(إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [الصافات: ٤٠-٤٣]. في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامرو يعقوب.

مَعْنَى الإِخْلَاص وَحَقِيقَتُهُ: الإخلاص في اللغة: مأخوذ من الخَلَاص؛ وهو الصفاء والنقاء؛ تقول : خلص الشيء يخلُصُ خُلُوصًا وخَلاصًا، فهو خالِصٌ: إذا صفا وزال عنه ما يشوبه.

يقول ابن فارس: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو: تنقية الشيء وتهذيبه. معجم مقاييس اللغة ٢٠٨/٢، وكلمة الإخلاص : هي كلمة التوحيد والإخلاص في العبادة والطاعة.

وأخلص الله دِينَهُ : أمحضه، وقصد وجهه، وترك الرياء، والمُخلِص : هو الذي وحد الله خالصا، والمخلَص: هو الذي خَلَّصه الله وطَهَّرَهُ من الدَّنَسِ ؛فاختاره واصطفاه.

فالْإِخْلَاصُ: تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، فالمؤمن يخلص نفسه من إرادات النفس وشهواتها، ومنها طلب مديح الناس وشكرهم، والهرب من مذمتهم، فعلامة الإخلاص: أن يستوي العمل في السرِّ والعلانية، في الباطن والظاهر، العلامة الثانية: أن يستوي المدح والذم عندك.

فحقيقة الإخلاص تصفية العمل من العلل والشوائب، سواء أكان مصدرها التعلق بالخلق، كطلب مدحهم وتعظيمهم والهرب من ذمهم، أو كان مصدرها التعلق بالعمل، كالاغترار به، وطلب العوض عنه...

كلام السلف في الإخلاص:

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه:(من خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله).

وَقَالَ الْجنيد: الإخلاص سر بَيْنَ اللَّه وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شَيْطَان فيفسده ولا هوى فيميله..

قالوا: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد والطاعة.

وقالوا: أن يكون العمل لله سبحانه لا نصيب لغير الله فيه.

وقالوا: الإخلاص هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق

وقالوا: هو استواء عمل الظاهر والباطن(مدارج السالكين:٩١/٢)

وقال الراغب: حقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى(المفردات/٢٩٣)

وقال إبراهيم بن آدم،: هو صدق النية مع الله تعالى (الاحياء، ٤ / ٤٧٤)

قال أبو عَلِي الدقاق يَقُول: الإخلاص التوقي عَن ملاحظة الخلق والصدق: التنقي من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء لَهُ والصادق لا إعجاب لَهُ، وَقَالَ ذو النون الْمِصْري: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فِيهِ والصبر عَلَيْهِ والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فِيهِ والمداومة عَلَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو يعقوب السوسي: مَتَى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إِلَى إخلاص.

وَقَالَ ذو النون: ثَلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل فِي الآخرة.

وَقَالَ سهل: لا يعرف الرياء إلا مخلص.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إِلَى الخالق وَقَالَ حذيفة المرعشي: الإخلاص أَن تستوي أفعال العبد فِي الظاهر والباطن.

وقيل: الإخلاص مَا أريد بِهِ الحق سبحانه وقصد بِهِ الصدق.

وقيل: الإغماض عَن رؤية الأعمال.

وقال السري السقطي يَقُول: من تزين لِلنَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ سقط من عين اللَّه تَعَالَى.

وقيل: لسهل بْن عَبْد اللَّه أي شَيْء أشد عَلَى النفس فَقَالَ: الإخلاص، لأنه لَيْسَ لَهَا فِيهِ نصيب.

وسُئل بَعْضهم عَن الإخلاص فَقَالَ: أَن لا تشهد عَلَى عملك غَيْر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

ويقال: إِذَا أخلص العبد انقطعت عَنْهُ كثرة الوساوس والرياء.

ولهذا كان معروف الكرخي يحث نفسه دائما، ويردد عليها: (يا نفس أخلصي تتخلصي.. يا نفس أخلصي تتخلصي).

ولذا كان السلف رحمهم الله حريصين على إخفاء أعمالهم وتصحيح نياتهم واخلاصها لله تعالى ويوصون على ذلك، فقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله تعالى عنهما من خلصت نيته، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس؛ ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله ؛ فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام. الزهد لهناد[١٢٦/٢]

وروي عن محمد بن واسع قال: لقد أدركت رجالا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من

دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا، يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جانبه. [٢/٣٤٧]

فما أحوج الدعاة وطلبة العلم الى سبر أغوار مكامن النفس وغوائلها ومداخل الشيطان إليها ونزغاته فيها، والوقوف مع النفس موقف الخصم لأن النفس لا يؤمن مكرها ولايُتقى شرها، إلا بطول المجاهدة ودوام المراقبة.

وليحذر من تلبيسات النفس والشيطان فقد يزعم انه يعمل لله مخلصاً يرجو بذلك رضى الله، وهو غير صادق في دعواه هذا، بل يريد الشهرة و الشهوة والرئاسة والظهور، ويعمل في رضى النفس والشيطان وهو لايدرى!!

وقال سفيان الثوري: ما رأيتُ الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب، والمال والثياب؛ فإذا نوزع في الرياسة،حامى عليها وعادى) الحلية٣٩/٧

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل. الحلية[٣/١٦٣]

وغالب ما نراه من تفرق وتشرذم وهجران بين دعاة المنهج الواحد وطلبة العلم من أهل السنة، ليس إلا نتيجة ضعف في الإخلاص وغلبة حظوظ النفس والحفاظ على المكانة والمنصب والرئاسة على حساب حفظ الدين وحماية بيضته وكسر حظوظ النفس والإنتصار على المصالح الشخصية لأجل المصلحة الكبرى للإسلام.

فلا يمكن للدعاة وأئمة العلم والدين ان يجتمعوا ويوحدوا كلمتهم الا بعدما يحققون الإخلاص والتجرد للحق ويهضمون أنفسهم في ذات الله، ويترفعون عن شهوات النفس وحماية جنابهم إلى حماية جناب التوحيد والملة، ويتجردوا من الكبر والعجب والغرور وحسن الظن بالنفس وازدراء الآخرين، فكم وقف الحفاظ على المسجد والمنبر و المكانة الاجتماعية والدعوية بين الناس، حجر عثرة بين تعاون الدعاة والعلماء وأهل الخير وذهاب البركة وتأخر النصر والتمكين!!.

ورحم الله حَمْدون بن أحمد القصّار حينما سُئل:»ما بال كلام السلف أنفَع مِن كلامنا؟ قال: لأنهم تكلّموا لِعِزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلّم لعِزِّ النفس،وطلب الدنيا، وقَبُول الخلق» الحلية٢٣١/١٠

قال ابن الجوزي (من أعجب الأشياء: التصنُّعُ للخَلق، وإنّما هي أيّامٌ ويَمضِي المتصنِّعُ والمتصنّعُ لَهُ، ويصيرُ الكُلُّ رميماً) صيد الخاطر:٤٨٨.

وقد روى ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق وهناد بن السري في كتاب الزهد بسندهما عن عبادة بن الصامت أنه قال: يجاء بالدنيا يوم القيامة؛ فيقول: ميّزوا ماكان منها لله وألقوا سائرها في النار.

وسيكون حديثنا باذن الله في العدد القادم عن سبل تحقيق الإخلاص اعاننا الله عليه....

قضايا منهجية

الشباب يسألون

ماذا نفعل ونحن مستضعفون؟

د.هشام عبدالله

والجواب:

- يمكنك أن تفهم الواقع بدقة.. فالضعف لا يمنع صحة الفهم.
- أن تحيي قلبك بمقتضى إيمانك.. فلا سلطان لأحد على قلبك.
- أن تبذل جهدك في تحصيل السلامة لمنهجك، ثم تحصين ذلك بالصدق في الاتباع.
- أن تمارس ما تقدر عليه من الفعل.. ولو مع قدر من مشقة، فليست كل مشقة مخاطرة أو مغامرة.
- أن تجعل اتجاه التغيير في الواقع إلى ما هو أحسن، ولو نسبيا.. فذاك هو الفعل المطلوب في الاتجاه الصحيح، حتى لو لم يحقق النتيجة المرضية بشكل كامل.
- أن تسعى للخروج من الاستضعاف، وأن تستبدل أسباب القوة بأسباب الضعف، وأن تصنع الأرض الممهدة لتمكين أهل الحق... فهذا من علامات الصدق.

ومن هنا يبدأ الحل حقا.. فكل الذين يضعون العراقيل في طريق الفهم، وكل الذين يشغلون طالبي الحل الإسلامي ببدائل تحول بينهم وبين سبل الفهم، هم يحُولون بينهم وبين المقدور والميسور.

فكل الذين يضعون العراقيل في طريق الفهم، وكل الذين يشغلون طالبي الحل الإسلامي ببدائل تحول بينهم وبين سبل الفهم، هم يحُولون بينهم وبين المقدور والميسور.

والفهم عند الأسوياء يثمر أصدق المشاعر، فتكون دافعا محفزا لبداية التغيير. وبهذا نكون قد أحيينا قضيتنا، أو إن شئت فقل: أحيينا قلوبنا بقضيتنا، وحققنا أول وأضعف إيماننا الواجب علينا تجاه واقعنا، إذ نكون ارتقينا في رتبة التغيير بالقلب التي لا يعجز عنها مكلف، والتي يفرط فيها الراكنون إلى متاع الدنيا؛ إلى الرتب الأعلى والأسمى.

وذلكم الدافع الشعوري هو المحرك الحقيقي لكل فعل يدخل في نطاق القدرة الواقعية، بل إنه يمثل صمام أمان من أوهام المرجفين الذين يبالغون في تهويل العجز وتسويغ ضعف الإرادة نحو العمل.

إن بذل الممكن من الاستعداد علامة صدق الإرادة، وإلا كان أصبح الأمر غرور نفس ودعاوى كذب (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة).

وليس من شرط الممكن تمام السلامة وانعدام المخاطرة وإلا ما شرع الجهاد في سبيل الله، مع ما فيه من مخاطروتضحيات وتنازل عن كثير من المحبوبات، حتى قال الله تعالى عنه:

(كتب عليكم القتال وهو كــره لكم) لكن الأمور لا تقــاس بموازيننا البشرية القــاصرة (وعــسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكــم والله يعلم وأنتم لاتعلمون).

والمثاليــة المطلوبة شرعا ليست شــيئا مغايرا للواقعيــة، بل هــي مثالية واقعية، من خلال أمرين :

الأمــرالأول: الحرص في الحال على أمثل ما يمكن، ولو لم يكن هو الهدف المرضي نهائيا.

والله عز وجل يقول: "فاتقوا الله ما استطعتم" والرسول ﷺ يقول: "ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

قد نعجــز عن التمكين الــكلي، ولكن يبقى الإعــداد لإتمامه واجبًــا علينا، وكــذا كل عمل يمثل ولو جــزءا من التغيير للأصلح، والرســول ﷺ علمنــا ألا نقعــد عن المســتطاع إذا عجزنا عما تمام ما نريد، فالناس لا يتساوون فيما يســتطيعون، لكن يبقى لكل مسلم دورا يجب أن يؤديه، وقد قال النبي ﷺ : "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه.."، وقال: "ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

قد نعجز عــن التمكــين الكلي، ولكــن يبقــى الإعــداد لإتمامــه واجبًا علينا، وكــذا كل عمل يمثــل ولو جزءا من التغيير للأصلح، والرسول H علمنا ألا نقعد عن المســتطاع إذا عجزنا عما تمام ما نريد، فالناس لا يتساوون فيما يســتطيعون، لكــن يبقى لكل مســلم دورا يجب أن يؤديه

وكل مــا نقــوم بــه التمكين للدين ليس جهدًا ضائعًــا، لا في الدنيا ولا في الآخــرة (فمــن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره).

فكيف إذا كان ذلك الخــير يــدور في فلــك المقصود الأسمى الذي من أجله خلق الإنسان؟

نعــم إذا كان هذا الخير عمــلاً دعويًا لتعبيد الناس لله ووقوفهم عند حدوده من تناول الحلال والامتناع عن الحرام، وإذا كان صدًّا لما نســتطيع صده من الفســاد فهــو من وســائل التغيير مهما قوبل بالتصغير، فكيف لو كان تصحيحًا للمفاهيم وإشاعة للعقيدة الصحيحة واستفاضة للبلاغ؟

إن الســعي للتمكين ما شرع إلا لاستصلاح أحوال الناس وســوقهم للعبوديــة التامة لله، إذن فحين نقوم ببذل الجهد واستفراغ الوسع في جميع أعمال الخير والإصــلاح المتاحة ؛ نزداد بها قوة، ونحن بذلك نقوم بأمرين:

الأول : القيام بأمور مقصودة بذاتها تعبدًا لله.

الثاني : تمهيد الأرض لطرق التمكين.

الأمرالثاني: الحرص مستقبلا على تحسين هذا الأمثل واقعيا، وما سبق يتضمن سعيا دؤوبا في التخفف من أوهام الضعف أو أسبابه، و اجتهادا في التزود من أسباب القوة، ليقل ما يعجز عنه المؤمن مع الوقت ويزداد ما يقدر عليه. وهو ما يعد علامة على الصدق في طلب مرضاة الرب، وإلا فما غير ذلك إلا استجابة لهوى النفس والناس المخالف لما شرع لنا رب الناس إله الناس.

و برامج الممكن يمكن أن تشمل مستويات شتى:

- فمنها ما يكون على مستوى الأمة: من توعيتها وكسب ولائها لأهل الحق حتى لا تنخدع وتسير وراء أصحاب الاتجاهات المعاكسة، وذلك من خلال تصحيح المفاهيم والعقائد ونشر العلم النافع سعيًا لاستفاضة البلاغ، أو من خلال وعظ وترغيب وترهيب يحمل الإنسان على تقوى الله والإتيان بالمأمور واجتناب المحظور، وأيضا من قضاء الحوائج وحل مشاكل المسلمينبما يحصل به تنفيس كروبهم وإصلاح أحوالهم. أومن خلال مشاركات سياسية تغلب مصالحها مصالحها على مفاسدها، وتساعد في تكوين أرضية التمكين للدين.

- **ومن برامج الممكن عمل على مستوى الا تجاه الإسلامي العام ؛** تعميق للصلات، وتقريب وجهات النظر والتخطيط للتكامل و حفظ مسارات التغيير في الأمة مشاركة من خلال أعمال الإعداد الواجب، سواء من خلال الكيانات الإسلامية الحالية، أو من إفرازاتها وثمراتها التي قد يجعل الله النصر على أيدي النابهين الفاقهين الجادين المجتهدين منهم.

_ ومن برامج التغيير على مستوى الكيان الواحد :

التربية والتعليم والتأصيل، والإعداد الإيماني والنفسي، والبناء الفكري والسياسي والدعوي والحركي، وتوفير ما يلزم له من القوة الاقتصادية والإدارية، وإعداد الاستراتيجيين والقادة، وربما أضيف إلى ذلك الإعداد البدني بحسب ظروف كل كيان وبيئته.

-ومن برامج التغيير على مستوى النفس:

استحضار اليقين بأن الذي لا يغير نفسه لن يغير غيره، ابتداءً من دقة الفهم، وإخلاص القلب في حمل قضية التغيير وعنائها، وكذلك صدق الغيرة على الدين وشرائعه المعطلة، مع قوة العزيمة في أخذ الدين بقوة وامتثال أحكامه الشرعية بثبات ودوام، فنفس الداعية ذاته تحتاج لمراجعة جادة صارمة للقضاء على ما فيها من آفات ومعوقات، تطيل الطريق أو تغلقه أمام طلائع النصر والتوفيق.

الولايات المتحدة الإبراهيمية

مشروع ما بعد التطبيع

د عبدالعزيز كامل

لا يخفى عـــلى متابعٍ للهجمة الغربية على الأمة الإســـلامية أن الصهيونيـــة اليهودية مدفوعة بالصليبية النصرانية تخوضان معًا معركة كبرى ضد أمتنا منذ ما يزيد عن مائة عام، وهو ما تزامن مع نشأة المشروع الصهيوني بزعامة (تيودور هرتزل) عام 1898م بعد انعقاد المؤتمر اليهودي العالمي الأول. ولا يخفى كذلك أن مشروعًا مشـــتركًا بين الصهيونيتين قد ســـلك مســـارين لقطع مسافات الوصول بهدف النيل من قدْر أمة الإسلام بين الأمم، والهيمنة على مقدراتها وقدراتها.

وهذان المســاران هما : مســار الحــروب التي توالت منــذ حرب عام 1948م ؛ التي احتل اليهود فيها غالب أرض فلســطين، ثم حــرب 1956م التي احتل اليهــود فيهــا ـ بمســاعدة الإنجليز والفرنسيين ـ سيناء لعدة أشهر، ثم خرجوا منها بعد ضــمان مرور ســفنهم بمضيــق تــيران في خليج العقبــة، ثم جــاءت حرب 1967م التي اســتولى اليهود فيها على القــدس ، وبعدها وقعت حــرب 1973م التي أحرز المصريــون فيها نصرًا مؤقتًــا ، لكنه انتهــى بإنهاء ما كان يســمى بـ (الصراع العربي الإسرائيــلي) عندما خرجت مصر منــه نهائيًا بعد الاعتراف بكيان اليهود دولة مستقلة ذات سيادة ؛ ليبدأ بعد تلك الحرب المسار الثاني في الصراع، وهو طريق الإخضاع من خلال ما سُــمي بـ (عمليات الســلام) التي لم تكن شيئًا آخر غير انتزاع الاستسلام.

وقــد بدأ هذا المســار ـ كما هو معلــوم ـ بعقد اتفاقية (كامب ديفيد) الموقعة في 17 سبتمبر 1978م ؛ والتي بموجبها تخلت مصر عن ميدان المواجهات العســكرية ضد الدولة اليهودية ؛ تاركــة بقية الأنظمة العربية عاجزة أو متعاجزة عن أداء أي دور في مواجهة الجيــش الصهيوني الذي ظل قيد التقوية والتحديث ؛ ليفرض واقع ما سُمي بـ «سلام الشجعان» ..!

وقد توالــت ـ بعد مرحلة مــن المقاطعة العربية للعاصمة المصرية ـ عمليات اعتراف وتطبيع مع العدو في صور معاهدات ســلام ؛ مــن كيانات كان يفترض أن تكون في مقدمة القوى الأساسية في خوض مسيرة التحرير ؛ فوقّعت منظمة « التحرير» معاهدة (أوسلو) للسلام في 13 سبتمبر 1993م، ثم تبعتهــا المملكــة الأردنية الهاشمية ؛ من خلال اتفاقية (وادي عربة) للسلام، الموقعة في 26 أكتوبر عام 1994م .

ثم بعــد مرحلة من انشــغال الأنظمــة العربيــة بتداعيــات غــزو العــراق ضمــن مــا سُــمي بمشروع القرن الأمريكي؛ ثم تمددات ماعُرف بمشروع بعث الامبرطوية الفارســية الإيرانيــة ؛ عــادت تلــك الأنظمــة العربيــة إلى تذكر قضية فلســطين؛ لا لتحريرها أو لدعم الســائرين على طريق تحريرها؛ ولكن لتدخل بقيتها بكل أريحية وانســجام دخولًا شــبه جماعي فيما سمي بعمليات السلام!

ثم بعد مرحلة من انشغال الأنظمة العربية بتداعيات غزو العراق ضمن ما سُمي بمشروع القــرن الأمريكي؛ ومع ما رافق ذلك مــن توغلات مــا عُرف بمــشروع بعــث الإمبراطورية الفارسية الإيرانية ؛ عادت تلك الأنظمة العربية إلى تذكر قضية فلســطين ـ لا لتحريرهــا أو لدعم بقية الســائرين على طريق تحريرهــا ـ ولكن لتدخل بقيتها بكل أريحية وانســجام دخولًا شبه جماعي تام فيما سمي بعمليات السلام !

ولكن ذلك جاء هذه المرة تحت مســمى جديد يعطي هذا الاستسلام معنى دينيًا، يتمسح باسم إبراهيم أبي الأنبياء ـ عليه الســلام ؛ لتنطلق عمليات « السلام « العربيــة الإسرائيلية بصورة جماعية تحت مســمى (الإبراهيمية)..

الاتفاقــات الإبراهيمية.. أوهام دينيــة .. بأبعاد سياسية

كان الرئيــس الأمريكي الســابق (دونالد ترامب) من أشــد المتحمســين لتفعيل مشروعات سلام بين

دولة اليهــود وبين دول الخليج العربي ؛ لتلحق بقطيع التطبيع الــذي بدأته الدولة المصرية، وقد اهتم ترامب

اهتــم ترامــب بــأن يكــون بدء التطبيــع الخليجي من دولــة الإمارات العربية المتحدة، على أن يكون باسم (اتفاقــات ترامــب) وتحــت رعايتــه، ولكنه عدَّل اســم الاتفاقات بمشــورة يهودية فســماها (اتفاقات أبراهام)، (الاتفاقات الإبراهيمية)

بأن يكون بــدء التطبيع الخليجي مــن دولة الإمارات العربية المتحدة ، على أن يكون باسم (اتفاقات ترامب) وتحت رعايته، ولكنه عدَّل اســم الاتفاقات بمشــورة يهودية فســماها (اتفاقات أبراهــام) أو (الاتفاقات الإبراهيمية) .

وقد أســس صهره اليهــودي وكبير مستشــاريه (جاريد كوشنار) لهذا الغرض منظمة أسماها : (معهد الاتفاقات الإبراهيمية للسلام) وأعلن عنه في شهر مايو 2021م، وجاء في الإعلان أن هدف المعهد هو: تعميق اتفاقيات التطبيع بين أتباع الأديان الثلاثة، ثم أطلق في الكنيست الإسرائيلي في شــهر أكتوبر 2021 ما سمي (لــوبي دعم الاتفاقات الإبراهيميــة) وذلك بحضور زوجته (إيفانا ترامب) .وكذلك أُعلن في شــهر إبريل 2022 عن إنشــاء (الصندوق الإبراهيمي) برأس مال قدره ثلاثة مليار دولار.

وكان لكوشــنار اليهودي دور أســاسي في إبرام اتفاقيات التطبيع بين إسرائيــل والإمارات العربية في 13 أغسطس عام 2020 م ـ برعاية أمريكية ـ ثم لحقت بها مملكة البحرين في 15 سبتمبر 2020 م، ثم انضمت السودان لتلك الاتفاقات ووقعت عليها في 23 أكتوبر 2020 م, لتلحــق بها المملكة المغربية في اتفاق تطبيع تحت ذات المســمى في 10 ديسمبر 2020 م ؛ لتكون ســابع حكومة عربية (تبصــم) لدولة اليهــود بالحق الكامل في الوجود على الأرض المقدسة !

ولتمهد هذه الــدول الطريق وترفــع الحرج عن انضمام بقية الدول العربية ـ ومن ضمنها وفي مقدمتها ـ المملكة العربية الســعودية ، التي تشير كل الدلائل على قرب توقيعها على معاهدة ســلام مع من لا عهد لهم ، تحت مسمى اتفاقات إبراهام!

وهو ما أشار إليه بيان مشترك صادر عن مؤسسي معهد كوشنار للـ « الإبراهيمية «؛ بأن» الحماسة» التي قوبلت بها (اتفاقات أبرام) في المنطقة ستشــجع على المضي خلال الأعــوام القليلة المقبلة في مســارات السلام التي ستبدد عقودًا من « سوء التفاهم» !

ومنذ بدأ الأمريكيون مســار التطبيع الجديد هذا؛ تبيّن أن المقصود الديني به هو مجرد مدخل للمقصود السياسي ؛ حيث صار مصطلح (الإبراهيمية) دالًا على مخطط سياسي إستراتيجي في قالب ديني فكري ؛ يُراد به أن يكون عنوانًا لخطة غربية مستقبلية لتذويب هوية الأمة الإســلامية في الهويات اليهودية والنصرانية، من خلال الادعاء بأن ديانات أبناء إبراهيم الثلاثة صالحة لصنع الإخاء في الدنيا، بل والنجاة في الآخرة.

ولأن ذلك البُعد غير منظور ـ أو يُراد له ألا يكون منظــورًا ـ في مصطلح الإبراهيمية ؛ فقد يتعذر أن نجد للمصطلــح تعريفات واضحة وكاشــفة في المصادر الأكاديمية المعروفــة الموثوقة. لكن الوقائع المحيطة بنشــوء فكرة المخطط تكشــف عن الأبعاد الحقيقية

الخطـيرة لذلك المصطلـح المحفـوف بالغموض المقصود.

لكـن مـا وراء ذلك الغمـوض يُظهـر أيضًا أن هناك نية في اختراع ملـة تلفيقية بديلة للملة الحنيفية، يدين بها من لا دين لـه، وينتمي إليها من لا عقل ولا هوية لـه ؛ ولذلك ردد القائمـون على ذلك المشروع كثيرًا عبارة (القاسـم المشـترك) بين الأديان، وتتكرر أيضًا كلمة (المشـترك الديني) على ألسنة المخطِّطين للمخاطَبين بهذا المشروع ؛ والهدف : استخدام دعوى المشترك الديني كخلفية ظاهرية للحقيقة الجوهرية في مشروع الإبرهيمية، وهي اصطناع مشـتركات سياسية واسـتراتيجية بين الدولة الصهيونية والعلمانية العربية ، يقف المنتمـون إليها صفًـا في مواجهة أي مشروع لنهوض الأمة الإسلامية .

ما تسرَّب من أنباء.. وما تفلَّت من تصريحات عن المشروع الإبراهيمي منذ بدأ ؛ يكشف أيضا عن أوهام خرافية في نوعية وهوية ذلك المسـعى غير المسبوق منذ عُرفت الرسالات وحتى عصرنا، فالرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) الذي يستميت للعودة لمنصب الرئاسـة، والذي بـدا في واجهة الداعمـين العلنيين لهذا المشروع ؛ قال في خطـاب له قبيل التوقيع على اتفاق التطبيع الإماراتي البحريني الإسرائيلي في البيت الأبيـض : «هناك تطلّع إلى المسـتقبل لـدى اليهود والمسلمين والمسيحيين ليعيشوا مع بعضهم البعض، وليحلمـوا ويُصلّوا مـع بعضهم البعـض، وجنبًا إلى جنب، بانسجام وتناغم وسلام «..!

وأوهام ترامـب هذه؛ قطعت الإمـارات العربية شـوطًا خطيرًا فيها بوضع حجر الأساس لبيت الضرار المسـمى بـ (البيـت الإبراهيمـي) أو (بيت العائلة الإبراهيمية) في أبوظبي عام 2019 ، ليفتتحه رسـميا رئيس الإمارات في 16 فبراير 2023 م .

المشترك الديني في المعترك السياسي

تعمد معهـد أبحاث الأمن القومي في الكيان الصهيـوني تغطيـة حقيقـة هذا المشروع السـياسي للإبراهيمية بغطاء ديني للترويج له بصورة تبدو إنسانية، فقد نـشر هذا المعهـد تقريرًا يوم 3 أيلول / سـبتمبر 2020م تحت عنوان (الإسـلام في خدمة السـلام : التداعيات والأسـس الدينية لاتفاق أبراهام) ... جاء فيـه: « في الوقت الـذي تتجه الأنظـار في إسرائيل إلى المصالح الاقتصادية والسياسـية والأمنية لاتفاق أبراهام، هناك اهتمام قليل بما يحمله من تحدّيات في مجال الاشـتراك الدينـي «.. وشرع يُذّكر الحكومات العربية بما ينبغي فعله تجاه التطبيع النفسي للتوافق مع «المخالف» عقائديًّا.

و»التطبيـع النفـسي» ـ بطبيعـة الحـال ـ يعني عندهم إلغاء (عقيدة الولاء والبراء) المركزية في العقائد الإسلامية، ويوصل إلى إقصاء فريضة الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر إذا أعاقت أو أثرت في مسـارات أصحـاب الديانة الإبراهيمية، كما يعنـي هذا التطبيع الاعـتراف بدولة اليهود على صفتها المشروطة بكونها (دولة يهودية) أقيمت على ما يسـمونه « أرض الميعاد التاريخية « ؛ ويعني كذلك الاعتراف بكل ما تشـترطه الصهيونيتان – اليهودية والصليبية – من اعتبار القدس عاصمة أبدية لتلك الدولة، وأن الأقصى وسـاحاته لا تصرف فيهما رسـميًا إلا باعتبارهما جزءًا أساسـيًا من العاصمة المعترف بها لليهود (عربيًا) ودوليًا.. وأن لا دخول لأحد أبوابه على هيئته المستقبلية؛ إلا لمن يقر بالديانة الإبراهيمية..!

وفي دراسة ترعاها جامعة هارفارد الامريكية بمظلة الخارجية الامريكية والمخابرات الامريكية لحوار الاديان يجري الترويج لتأسيس شرق أوسط جديد مركزيته الكيان الصهيوني ، لذلك تم التوجه والتركيز على ابراز قضية التسامح الديني وعليه اختاروا نخبة من رجال الدين والسياسة للخروج بتوصيات لابراز العوامل المشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة لصياغتها وكتابتها في مجلد واحد ليتم تداوله وقرائته في الأماكن المقدسة المشتركة بدلا من الكتب السماوية الثلاثة .

لم يخفِ المصممون للبعد السياسي في مشروع الإبراهيمية أن تطويره ينبغي أن يصل إلى صيغة سياسية عملية ؛ تجمع بين المتوافقين على الأسس النظرية لهذا المشروع، وهذه الصيغة تتمثل فيما أسموه (الولايات المتحدة الإبراهيمية) التي تضم ـ أو ينبغي أن تضم ـ كل الحكومات والكيانات السياسية الموقعة عليه

وواضح أن (المشترك الديني) ـ الذي يدندنون حوله ـ ستجري وفقه سياسات وإجراءات وقرارات تحاول تخريج مضامين دينية تساوي بين المسلمين والمشركين، بل والملحدين.. لجمع أتباع تلك الملة المفتراه تحت مظلة واحدة.

وقد أثبتت أحداث العقود الأخيرة أن غالب حكام اليوم ليسوا بعيدين عن التورط في العبث بالدين من خلال الخبط والخلط في المصطلحات والمفاهيم، وما أهون التضحية عندهم بهذا الدين ما دامت ستُبقي على ما أسماه القذافي (الديموكراسية) ..أي : ديمومة الكراسي..!

ومن الدلائل على أن البعد الاستراتيجي والسياسي هو المقصود الأساسي لمشروع (الإبراهيمية) أن الخطوة العملية الرئيسة في مساره كانت سياسية بامتياز ؛ وتمثلت في إقدام الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترمب) على إعلان اعتراف أمريكا بالقدس عاصمة موحدة للكيان الإسرائيلي ؛ تمهيدًا للتمكين الديني فيها بعد السياسي ؛ لتكون تلك المدينة بمثابة «قبلة» جماعية لأصحاب الأديان الإبراهيمية !

إسرائيل الكبرى .. والمشترك الاستراتيجي

لم يخفِ المصممون للبعد السياسي في مشروع الإبراهيمية أن تطويره ينبغي أن يصل إلى صيغة سياسية عملية ؛ تجمع بين المتوافقين على الأسس النظرية لهذا المشروع، وهذه الصيغة تتمثل فيما أسموه (الولايات المتحدة الإبراهيمية) التي تضم ـ أو ينبغي أن تضم ـ كل الحكومات والكيانات السياسية الموقعة عليه، والتي ستوضع في إطار عضوي سياسي تحت قيادة : إقليمية ، سياسية ، واقتصادي في شكل كونفيدرالية مستقبلية بين الدول الموقعة الاتفاق الإبراهيمي .

والكونفيدرالية هي اتحاد تتعاهد وتعاقد تتعامل بموجبه الدول الموقعة عليه بنظام العمل المشترك في المجالات ذا الحساسة والخصوصية المشتركة بين أعضائه ، مثل الدفاع المشتركو الشؤون الخارجية والعملة المشتركة.

والكونفيدرالية الإبراهيمية المزمع إنشاؤها؛

تنتهي في النهاية إلى تسييد اليهود، وتحويل عبيدهم المتسترين إلى أسياد وهميين ، وذلك في منطقة قلب العالم الإسلامي، التي أسماها الاستعمار الغربي (الشرق الأوسط) ، والتي أطلق عليها السياسي اليهودي المخضرم هنري كيسنجر : (قلب العالم) ، وهي التي نعتبرها نحن (أرض النبوات والنبوءات) ؛ لكونها مهبط جُل الرسالات في الماضي، وموضع غالب النبوءات في المستقبل، وهي تشمل البلاد الممتدة من العراق شرقًا، وبلاد الشام غربًا، ومن جنوب تركيا شمالاً إلى سواحل اليمن جنوبًا ، مرورًا بأراضي الجزيرة العربية بأسرها، وأرض الحرمين في قلبها.

لن يحتاج الباحث عن الحقيقة السياسية لمشروع (الإبراهيمية) كثيرًا من الجهد للربط بين الفكرة اليهودية القديمة المسماة (إسرائيل الكبرى ـ من النيل للفرات) وبين تسميتها الحديثة المطورة باسم : (الولايات المتحدة الإبرهيمية) وصفقة القرن طريق يوصل بينهما، فدعاة الإبراهيمية يتحدثون كثيرًا عما يسمونه (مسار إبراهيم) ؛ وهو يعني عندهم الأراضي التي وطئها إبراهيم ـ عليه السلام ـ بقدميه خلال تنقلاته وهجراته بين البلدان، بدءًا من العراق أرض مولده ، إلى الشام بلاد مهجره ومعيشته التي بنى فيها المسجد الأقصى، إلى مصر التي مر بها من خلال سيناء، لعبر بعد العودة للشام إلى أرض مكة حيث البلد الأمين الذي بنى فيه المسجد الحرام بصحبة ولده إسماعيل.

ومن تأمل في حدود ما سار فيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ من مسارت؛ سيجد أن ما يسميه أهل الكتاب (مسار إبراهيم) هو ذات الأرض التي يطلق عليها اليهود (أرض الميعاد) وهي الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات ، والتي يقولون إن الرب وعد إبراهيم عليه السلام أن تكون خالصة لنسله ؛ وذلك في نص التوراة الذي يقول :

(في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا : لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) (سفر التكوين: 15 ـ 18)

العجيب هنا .. أن اليهود لا يعترفون باستحقاق قوم غيرهم لوعد إبراهيم ؛ ولذلك تؤول (الإبراهيمية) إلى (الإسرائيلية) !

أنهم اعتقدوا أن (مسار إبراهيم) يغطي أرضًا ليست ملكًا لأحد غيرهم، وهو ما أطلقوا عليه في عصرنا (أرض إسرائيل الكبرى) التي لهم فيها أطماع علنية منذ نشأة دولتهم في فلسطين؛ ولذلك رسموا للاستيلاء عليها مشروعهم المسمى (مشروع إسرائيل الكبرى).

لا نجد ما نختم به هذا المقال إلا أن يُقال : لا سبيل لمواجهة المشروعات « الإبراهيمية « ـ دينية كانت أو سياسية ـ إلا بالعمل على بعث وبث روح ملة إبراهيم الحنيفية في عموم أبناء الأمة الإسلامية ؛ فهي الكفيلة بوأدها في مهدها، أو إزهاقها مهما حاول أهل الغواية والضلال إحياءها ؛ فملة أبي الأنبياء ـ عليه السلام ـ هي التوحيد الخالص الذى هُدي له ودعا إليه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ؛ فلا فلاح ولا استقامة ولا ظفر ولا نصر إلا بها، والله تعالى يقول : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۚ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل : 120 ــ 123].

بعد عشريةٍ سوداء..
سوريا إلى أين؟!

الشيخ
أبو الهيجاء مضر

سـورية الثانية بين البناء والهدم وتحديات المرحلة

تتسـارع الأحداث والارهاصات التي تشير إلى مخـاض حقيقي يسـبق الإطاحـة بالنظام السوري الأسدي الطائفي ومنظومته الأمنية.

لكنها ليست الارهاصات الأولى ولا التسارع الأول، فقد سـبقه أضعافه من حيث الكم والنوع في زمن تماسـك وبطش النظام ورعب منظومته الأمنية القاسية.

لكـن ما يميز هذه المرة هـو بروز الطوائف الباطنية كالنصيرية والدروز ورفع أصواتهم عاليا من خلال قياداتهم وأعيانهـم التي بدأت تتكاثر بشـكل مضطرد غير معتاد ولا هـو طبيعي! من الواضـح أن المشروع الغربي مـن خلال أركانه الاولى وعـلى رأسـه الإدارة الأمريكية شرع في

إعادة ترتيب المنطقة بعدما فككها وعبث فيها على مستوى الشعوب والحركات والجيوش والحكومات لصالح رؤيته في الفوضى الخلاقة.

ومن الواضح أن المشروع الغربي من خلال أركانه الاولى وعلى رأسه الإدارة الأمريكية شرع في إعادة ترتيب المنطقة بعدما فككها وعبث فيها على مستوى الشعوب والحركات والجيوش والحكومات لصالح رؤيته في الفوضى الخلاقة.

يريد الغرب أن يصنع نماذج وحكومات جديدة مستفيدا من الفوضى الخلاقة التي وفر لها ظروفا ومعطيات تناسب رؤيته وتفوت الفرص على الشعوب التي استفاد من دمائها ووجهها ومنعها من قطف الثمار الحقيقية بعد أن صفى قياداتها الواعية والمخلصة وزج بقيادات أخرى متعاونة أو متخادمة معه بشكل مباشر وغير مباشر.

لاشك بأن سورية جوهرة في المنطقة يتألق عاليا من يسيطر عليها، الأمر الذي يعني أن الغرب لن يسمح لشعبها بالسيطرة الحقيقية عليها وسيحافظ على شكل دون مضمون لديمقراطيته المخادعة.

غير أن الغرب اللعين يعي جيدا حيوية شعوب المنطقة العربية والإسلامية التي خبرها طيلة قرون وفي محطات هامة وعنيدة، الأمر الذي يجعله مصرا على المحافظة على ركيزتين تشكلان لاستدامة مشروعه صمام الأمان الذي يحول دون نهضة الشعوب وانعتاقها، وهما :

الركيزة الأولى: البنية الطائفية المرتبطة به والمرهونة له بحيث تكون متنفذة في أنظمة الحكم وقابضة على مفاصل الدولة الرئيسية.

الركيزة الثانية: المنظومة الأمنية الصلبة والتي تتميز بعلاقات دفينة تضمن ولاءها وانسجامها مع المشروع الصهيوني في المنطقة.

سورية الحديثة تتشكل اليوم برعاية الغرب وللمرة الثانية بعد تشكل الدولة الوطنية الحديثة حين تم تمكين البعث والنصيرية في المرة الأولى في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم.

إن الغرب عموما والإدارة الأمريكية خصوصا شريك حقيقي في تشكيل النظم التي أعقبت ثورات الربيع العربي، بعدما نجح الغرب في حرف الثورات عن مسارها من خلال إطلاق يد إيران وملاليها وميليشياتها للبطش بشعوب المنطقة وثوارها وعلمائها وقياداتها ورموزها، وكذلك من خلال نجاحه في اختراقاته العميقة للأجسام الثورية عسكريا وسياسيا، كما زادها تشويها وتمزيقا عندما زرع فيها أفرانه الحارقة

والمتنقلة كداعش وأخواتها وما أحدثته من تدمير للنسيج الاسلامي.

إن التمكـــن والنفـــوذ الغـــربي الصليبي في منطقتنا ودولها المهترئة وجيوشها العميلة لا يزال قائمـــا للحد الذي يصعب فيـــه تصور أي عملية سياســـية في المنطقة خارج الرؤية أو الشراكة أو المحاصصـــة الغربية عموما والأمريكيـــة عـــلى وجه الخصوص.

لكن الإدارة الأمريكية وعمـــوم الغرب ليســـت إلهـــا ولا ســـنة كونية لا مبدل لها، بل هي إدارات تصيب وتخيـــب وتنجح وتفشـــل وتؤلم وتتألم، كما أنها دخلـــت في مرحلة الأفول الحضاري والذي ستعجل به الصراعات الدولية الكبرى.

إن هذا التصور يســـتدعي لملمـــة وترتيب الأجســـام الثورية، كما عموم الجسم الإسلامي السني -المرتبك والمضطرب حاليا-، لتقوى على مواجهة تحديات المرحلة في المدى المتوســـط حيث ستنقل الأوضاع العربية سياسيا من المجزأ والمقســـم إلى تجزئة المجزأ وتقســـيم المقسم، مستفيدة من الأوضاع الجيوسياسية التي أفرزتها حقبة الربيع العربي بشـــكل عفوي تلقائي نتيجة حالة الاحتراب الداخلي بين القوى والمشـــاريع والشعوب، أو مدروس ومخطط له بتدخل مباشر خارجي.

والواقع يشير إلى غلبة أهل السنة والجماعة في أرض الشـــام من حيـــث التكويـــن والعدد، الأمر الذي يمنع التســـليم لهم، لاسيما وهويتهم الثقافية الإسلامية المشتركة قوية، وقـــد زادتها الثورة والتضحيات قوة وبلورت مطالبها العميقة والعنيدة.

والراجـــح أن الغـــرب يتجـــه لبناء ســـورية الثانية -كـــما العراق في نســـختها الأخيرة- بحيث يملؤها بنقاط التفجير الســـياسي والعرقي والطائفي والاقتصادي ليضمن عدم عافيتها حتى في فـــترة ضعفه وانشـــغاله بصراعات دولية أكبر وأخطر وأهم.

وإننـــي أرجـــح أن الغرب يتجه لبناء سورية الثانيـــة -كـــما العراق في نســـختها الأخيرة- بحيث يملؤهـــا بنقـــاط التفجـــير السياسي والعرقي والطائفي والاقتصادي ليضمن عدم عافيتهـــا حتى في فـــترة ضعفه وانشـــغاله بصراعات دولية أكبر وأخطر وأهم.

أعـــود فأقـــول إن المنطقة تعيـــش أوضاعا مهلهلة وهي ســـتعيش حالات من الخلخلة التي تترك فجـــوات لا يمكن أن يســـتفيد منها إلا من حقق شرطيها الرئيسيين وهما :

الـــشرط الأول : وجـــود خطـــة عملية، وان كانت مرحلية مبنية على تصور شامل في أهدافه

القريبة والبعيدة والنهائية، ليشكل ضابطا لها من الانحراف والخروج عن السكة، لاسيما في ظل وجود اختراقات مخلّة أو اجتهادات سياسية مضلّة.

الشرط الثاني : بناء جسم وطني متماسك من حيث انسجامه الثقافي واستقلاله السياسي وامتلاكه للإرادة الحرة، وكذلك نقاء وصفاء قياداته الموجهة والملهمة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المشكل الطائفي سيبقى مطروحا في مجتمع متنوع الطوائف والمذاهب وان كانت مساحته الكبرى والغالبية هي مسلمين من أهل السنة، ولكن المعركة التي يجب أن تدار -في ظل مكر الغرب- هي حول كيفية استيعاب الطوائف لا استعداءها لاسيما أنها جزء من نسيج المنطقة.

إن الثوار والمصلحين والدعاة والسياسيين أمام اختبارات كثيرة في المرحلة القادمة، ولكن أهم تحدياتها والثلاثة الأولى ستكون :

التحدي الأول : تشكيل مشروع وطني مستقل سياسيا جامعا يستوعب تجربة الماضي وأخطائها، ويبني على التضحيات الأخيرة ودماء شهدائها محققا آمال أحيائها ولو بشكل مرحلي تطيقه الظروف الموضوعية.

التحدي الثاني : الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية التي تشكل هوية المنطقة وعموم شعوبها منذ بعثة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحتى تشكيل الدول الوطنية الحديثة، واسترداد واصلاح العطب الذي أصاب الهوية فأحدث فيها لوثات تتناقض مع الإسلام العظيم نتيجة النظريات القومية واليسارية، وعلى وجه الخصوص لوثة المشروع السياسي الشيعي باعتباره الأكثر قوة ونفوذا وفاعلية في المنطقة لاسيما بعدما حلّت فتنته على أيدي التيار الاسلامي في فلسطين، والذي غرق في تحالفاته مع ملالي ايران وزاد الطين بلّة حين قعّد لخطوته الآثمة واعتبرها شرعية متوافقة مع الدين!.

التحدي الثالث : النجاح في استيعاب الطوائف المسيحية والنصيرية والدرزية -رغم أوجاع المرحلة السابقة والحالية وانتكاسات الطوائف خلالها- بحيث ينجح المكون الإسلامي القادم في أعرق بلاد وأقاليم المسلمين -أرض الشآم- بخلق فجوة بين عموم الطوائف وأتباعها وبين الغرب الذي لطالما اخترق المنطقة وعبث في أوضاعها من خلال تلك الطوائف عبر قياداتها الرخيصة غير المنتمية واللاوطنية، ولعل هذا التحدي الصعب يبرز القامات الإسلامية المفقودة أو المدفونة اليوم نتيجة الاحتراب الطائفي الذي يرعاه الغرب باحتراف كبير، ولعل خير قدوة في هذا السياق هي شخصية الأمير عبدالقادر الجزائري الذي أنقذ إقليم الشام وطوائفه من

مهالك الذبح والتهجير التي اندلعت بدمشق عام ١٨٦٠ بعد أن انقدحت شرارتها في جبل لبنان بين المسيحيين والدروز، فكان الحل هو الاسلام ومعانيه مجسّدا بقيادة واعية وخطوات مسؤولة ومستوعبة.

من نافلة القول أن حجم التدمير الذي أحدثته نظم الحكم التي مكنها الغرب من حكم البلاد والعباد في الدول الوطنية الحديثة التي أنشئت برسمه وأمره، يطرح بين يدي المصلحين والدعاة والسياسيين تحديات كثيرة وعظيمة حتى لا يكاد يخلو منها منحى من مناحي الحياة، وهنا تكمن رسالة أتباع النبيين والمرسلين في إصلاح أحوال العباد ورعايتهم في المعاش والمعاد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن خير من يستفاد من مواقفه وارثه في الحقبة الأخيرة وفي أوضاع شبيهة إلى درجة التطابق مع إقليم الشام هو الشيخ حارث الضاري رحمه الله، والذي حلت عليه وعلى كل المصلحين مصائب في أرض العراق تفوق كل المصائب التي حدثت في القرنين الأخيرين في مصر وعموم الشام، ومع ذلك فقد كان خطاب الشيخ الضاري متزنا ومتوازنا وأصيلا في حفاظه على الهوية العربية والإسلامية وعلى الإرادة السياسية المستقلة وعلى استيعاب الطوائف والأحزاب المذهبية دونما مماالأة عقائدية تمس ثوابت الدين ولا أحكام الشريعة، مستوعبا عموم الشيعة العراقيين رغم بطش إيران وميليشياتها والتي قاتلها وشرّع قتالها معتبرا إياها كما الإدارة الأمريكية محتلّ عدو لئيم.

إن حجم التضحيات في حقبة الربيع العربي وما قبلها لم تصل إلى قطف الثمرات المرجوة ولكنها أسهمت فعلا بتدمير وتفكيك وإضعاف مشاريع الباطل وأجهزته ومكوناته ونظرياته، الأمر الذي يبنى عليه الكثير عند من يعون تلك الحقائق وينتمون حقا لأصحابها وأتباعها وأهلها، ويعملون بصدق متجردين لعز الأمة وتمكين الدين.

وإن وعد الله حق والله لا يخلف الميعاد.

يقول سبحانه وتعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) سورة النور الآية ٥٥.

ما قلته من حق فمن الله وما أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله.

أمير سعيد

مسلمو الصين خارج الإحصاء

حين نعلم أن اللون الأبيض في العلم الصيني منذ العام ١٩١٢ حتى ١٩٢٨ (قبل الحكم الشيوعي للصين) كان يرمز لقومية الهوي المسلمة في الصين، باعتبارها إحدى المكونات الخمسة لـ«الأمة الصينية»، حيث أعلن مؤسس جمهورية الصين سون يات صن حينها أن البلاد ستحكم بالمساواة بين قوميات الصينيين، والمانشوريين والمغول، والهوي (المسلمين) والتبتيين، حتى بدون تركستان الشرقية التي كانت خارج تلك التركيبة.

(العلم الصيني منذ العام ١٩١٢ وحتى العام ١٩٢٨م)

وحين نعلم أن أحد أسباب الغزو الأوروبي للصين كان الحذر من أن تصبح الصين خلال عقود أكبر دولة بها مسلمون في العالم نظراً لازدياد مطرد في تعداد المسلمين لأسباب عديدة هناك القرن قبل الماضي، وحين نعلم أن التحذيرات البريطانية الأمريكية الفرنسية كانت متطابقة أوائل القرن الماضي من تهافت العقائد الصينية أمام المد الإسلامي.

حين نعلم أن أوروبا قد أرسلت ٨٠٠ بعثة تنصيرية تستهدف المسلمين، اعتمد على إحصاءاتها، المارشال بروم هال في تقدير أعداد المسلمين في العام ١٩١٠م.

وحين نعلم أن مواجهة الاحتلال الياباني قد استدعت «تشكيل جبهة موحدة في العام ١٩٣٧ تواجدت فيها القوى الشيوعية مع القوى الإسلامية، والقوى الوطنية ولعبت الجبهة الإسلامية دوراً رئيسياً ومحورياً في تحشيد القوى الصينية، وكان المسجد الخاص بمدينة ياونان الذي أضحى مقر عمليات جبهة الخلاص، مقراً للقاء عدد كبير من القيادات الصينية ومنهم ماو تسي تونغ نفسه»[١].

وحين نعلم أن انتفاضة التبت ١٩٥٩م أثناء الحكم الشيوعي كان للمسلمين فيها دور رئيس.

حين نعلم ذلك؛ **ندرك تماماً** أن الأقلية المسلمة في الصين كان لها شأن كبير يستحيل معه أن يشار إليها اليوم على أنها تمثل نحو ١ ٪

من تعداد الصين، لاسيما إذا عزز ذلك جملة من الإحصاءات التي تبرهن على أن تلك الأقلية ذات حجم من المفترض ألا يستهان به.

أعداد مسلمي الصين ونسبتهم:

بين أيدينا إحصاءات وتصريحات رسمية صينية قبل أن تبالغ السلطات الصينية المتعاقبة في تخفيض تقديرات أعداد المسلمين عمداً لإضعافهم ضمن مخطط شامل لكسر شوكة مسلمي الصين:

«الطبعة الانجليزية لكتاب الصين السنوي عام ١٩٤٠م الذي طبع من قبل المكتبة التجارية الكبرى بشنغاي، وكذلك كتاب الصين السنوي الذي نشر من قبل الحكومة الصينية في تشونغ كنغ عام ١٩٤٨م، قد ذكر كلا منهما أن عدد المسلمين في ذاك الوقت قد بلغ أكثر من ٤٨ مليون نسمة مقروناً بحصر عدد ٤٢٣٧١ مسجداً وجامعاً في جميع أنحاء الصين[٢]. فالرقم المذكور في كتاب

(١) مسلمو تركستان الشرقية (الإويغور) والعلاقة مع السلطات الصينية. دراسة في آليات الاندماج والاستيعاب - د. علاء عبد الرزاق مطلك الفهد صـ٣٠٥ مجلة حمورابي للدراسات - العدد ٤٠ - السنة العاشرة ـــ شتاء ٢٠٢١ - جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

(٢) عدد المساجد في حد ذاته كاشف لتعداد المسلمين؛ فمعدل مسجد لكل ١١٠٠ مصل منطقي ومقبول

الصين السنوي عام ١٩٤٠، و١٩٤٨م عن عدد المسلمين في الصين، ولو أنه لم يذكر المصادر أو المراجع لهذا العدد قد أصبح مقبولاً لدى كثير من العلماء المعاصرين مع الاعتقاد بأن عدد السكان المسلمين في الصين في الخمسينات كان يتراوح بين ٤٨ و٥٠ مليون نسمة. فهذا الرقم كان في الحقيقة يمثل ٩٪ بالنسبة لمجموع سكان الصين[١] الذي بلغ عددهم في عام ١٩٤٨م ٤٦٠ مليون نسمة وفقاً للإحصاءات الرسمية.

وبناء على الأرقام التي قبلتها الجهات الرسمية في الحكومة الصينية كان المسلمون يوزعون على ما يلي:[٢]

إحصاء تعداد المسلمين في الصين في العام ١٩٤٨م

#	أسماء الولايات	عدد المساجد	عدد المسلمين
١	سنكيانغ	٢٠٤٥	٢٣٥٠٩٥٠
٢	قانصو	٣٨٩١	٣٥١٠٩٢٠
٣	نينغ هشيا	٦٥٥	٧٥٣٤٠٠
٤	تسيتغاي	١٠٣١	١١٨٦٥٩٠
٥	ولايات الشمال الشرقية	٦٥٧٠	٧٥٣٣٦٨٠
٦	جهول	٢٤١	٢٧٨٩٥٠
٧	صوي يوان	٢٥٣	٣٨٤٦٢٠
٨	جها هار	١٧٥	١٧٥٠٥٠
٩	ها و به	٢٩٤٢	٢٣٧٩٤١٠
١٠	هاو نان	٢٧٠٣	٣٠٩٤٨٠٠
١١	شني	٢٦١٦	٤٢١٩٠٩٠
١٢	شاني	١٩٣١	١٥٨٩٥٧٠
١٣	شانتونغ	٢٥١٣	٢٨٩٠٤٣٠
١٤	يونان	٣٩٧١	٤٥٦٨٢٩٠
١٥	كوي تشو	٤٤٩	٥١٩١٦٠
١٦	سزي تشوان	٢٢٧٥	٢٦١٥٣٣٠
١٧	كونغ سي	٤٢٩	٢٨٠١٨٠
١٨	كوانغ تونغ	٢٠١	٥٥٨٤٥٠
١٩	هونان	٩٣٢	١٣٠٢٩٠٠
٢٠	هو به	١١٣٤	١٥٨٧٠٨٠
٢١	كيانسي	٢٠٥	٢٨٦٥٩٠
٢٢	تشيكيانغ	٢٣٩	٣٥٧٣٠٠
٢٣	آنخوي	١٥١٥	٢٢٨٨٥٨٠
٢٤	كيانصو	١٣٠٢	١٩٦٣١٧٠
٢٥	فوكيان	١٥٧	٤٧١٥٧٠
		٤٢٣٧١	٤٨١٠٤٢٤٠

(١) النسبة الحقيقية هي نحو ١٠,٦٪ وليست ٩٪ وفقاً لتلك التقديرات نفسها ولعل المؤلف قد أخطأ بالحساب.

(٢) تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر - بدر الدين و لي حي مستشار السفارة الصينية في جدة - صـ ١٠٢-١٠٤.

وهذا الإحصـــاء في الحقيقـــة تدعمه جملة من الإحصاءات التي قام بها صينيون رســـميون، ومســـلمون صينيون، وغربيون، كلها دارت حول نسبة ١٠_١٢٪ من تعداد سكان الصين أي ما يبلغ الآن نحو ١٥٠ مليون مسلم.

فصينياً، رسمياً وشبه رسمي:

«ذكر وزير الإعـــلام الصيني عام ١٩٣٣م أن عدد المســـلمين في إقليم تركستان الشرقية ٤,٣٦٠,٠٠٠ نســـمة، وأنهم يشكلون (٦ ٪) من جملة المســـلمين في الصـــين، وعلى هذا الأساس تكون جملة المسلمين في الصين في الســـنة المذكورة هي ٤٧ مليون نسمة، وهكذا يمكن تقدير نســـبة مســـلمي الصين بين ١٠ ٪ و ١٠,٧ ٪ فيكون عدد المســـلمين في الصين حســـب تقدير سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م حوالي ١٠٠ مليون نسمة» [١]

وغربياً:

صدرت إحصاءات كثيرة تدعم هذه النسبة في أوائـــل القرن، لكن الغربيين عـــادوا وقللوا جداً من نســـب المسلمين مع إطلاق حملاتهم التنصيريـــة وانزعاجهم من كثرة المســـلمين إذ ذاك، وقد لوحظ أن المارشـــال بروم هال برغم حرصه عـــلى تخفيض أعداد المســـلمين؛ فإنه يبدو أنـــه خالف توجهه هـــذا في مقدمة كتابه «الإســـلام في الصين»، فقـــال: «ذكر المؤتمر التنصيري العالمي: يفوق عدد المســـلمين في الصين سكان الجزيرة العربية، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، والعراق، ومصر، وإيران.[٢] وقـــدر إم. دوتيرســـانت «M. de Thiersant» عدد المســـلمين في الصين في سنة ١٢١٥هـ - ١٨٧٩م بحوالي ٢٠ مليون نسمة»[٣]

وإسلامياً:

قدرتهم المصادر الإسلامية أوائل القرن بما بين ٣٤_٥٠ مليون[٤] واستناداً إلى مصادره في فرع جماعته بالصين، قال حســـن البنا: «يوجد في غرب بلاد الصين ٣٠ مليون مسلم»[٥]

في الجملـــة؛ فـــإن مـــا تقـــود إليـــه تلك التقديـــرات، هـــو أن تعـــداد المســـلمين من المفترض أن يكون في حدود ١٥٠ مليوناً وفقاً للنسب السالفة الذكر، الدائرة ما بين ١٠-١٢٪ من تعداد الســـكان في الصين، إذ «تعد الأقلية المسلمة في الصين ثاني أكبر أقلية إسلامية في آســـيا بعد الهند، حيث تبلغ نســـبتهم ١١٪ من

(١) الأقلية المسلمة في الصين الشعبية – شبكة الألوكة عن موقع الإسلام - ٢٠١٢/١١/١

(٢) عجيب أن يخرج بهذا التقدير لكنه مع غرابته مؤشر لحجم كبير للمسلمين أوائل القرن الماضي.

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) مقال حسن البنا - مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٩)، الســـنة الخامســـة، ٣ شـــعبان ١٣٥٦ه- ٨ أكتوبر ١٩٣٧م، صـ٢.

إجمالي سكان الصين»[1]

لكن، مع ذلك، لا يمكن الجزم بتقدير دقيق للمسلمين بالنظر إلى ما طرأ خلال سبعين عاماً الماضية من أحداث، ارتكبت فيها السلطات الصينية المتعاقبة جرائم ومجازر بحق المسلمين، حصدت خلالها أرواحاً كثيرة، غير أنها لم تغير تلك النسب التي خلص إليها الباحثون كثيراً.

(مسجد عيد كاه أو مكة الصغرى بتركستان الشرقية المحتلة «شمال غرب الصين»)

قوميات مسلمي الصين ومناطقهم:

ويقسم المسلمون في الصين إلى عشر قوميات هي:

- قومية صينية: وهي قومية الـ هوي.

- ثلاث قوميات تركية هي: الأوزبك، السالار، والإيغور.

- قوميتان من المغول هما: دونغشيانغ، وباوان.

- إضافة إلى أربع قوميات هي: القازاق، القيرغيز، التتار والطاجيك.

«وينتشر المسلمون في ست مقاطعات في غربي الصين، وهي: (كانسو، شنغهاي، يونان، شانسي، نان تشا، سيشوان)، وفي أربع مقاطعات في جنوبي الصين، وهي: (غوانجو، غوانغ شي، هونان، هوبي)».[2] «وتفيد مصادر مسلمي الصين أن تواجدهم يكثر في الولايات الشمالية والغربية، حيث يمثلون أغلبية السكان هناك، وبخاصة ولايات: سنغيانغ (أويغور) ويمثلون نسبة ٧١ ٪ من سكانها، وشنغهاي (٦٥٪)، ونينكسياهوي (٣٥٪)، وكانسو (٣١٪)، ومنغوليا الداخلية (٢٩٪)، بالإضافة إلى ١٢ ولاية أخرى -من بينها العاصمة بكين- تزيد نسبة المسلمين فيها عن ١٠٪، و١١ ولاية جنوبية تقل النسبة فيها عن ١٠٪.»[3]

(مسجد شيانخه شرق الصين)

لماذا أضحت تلك القوميات المسلمة صفراً على يسار النظام الصيني؟

بالاطلاع على تاريخ المسلمين القديم والحديث يتبين أن المسلمين قد اعتراهم الضعف من فرقتهم وصراعاتهم التي جعلت بعضهم يصطف مع فئة من الكفار، وآخرين مع فئة أخرى من الكفار. وأتاهم الوهن من

(١) المسلمون في الصين/ مركز إنسان - ٢٠٢١/٤/١٢م

(٢) عشر قوميات مسلمة في الصين.. فلماذا لم نسمع إلا عن اضطهاد الإيغور!- شاهر الشاهر أستاذ الدراسات الدولية في جامعة صن يات سين- الصين - ٢٠٢٢/٩/٤م

(٣) المسلمون في الصين/ مركز إنسان - ٢٠٢١/٤/١٢م

ندرة التعاون بين الهـوي الصينيين، والأويغور الأتراك، وإخفاقهم في نسـج سياسـة متكاملة فيما بينهم.

وكذلك قد اعتراهم ذلك الضعف بسـبب استسلامهم شـيئاً فشيئاً للحكم الشيوعي حين كانـت قدرتهم عـلى المقاومة أكـبر والصين أضعف.

ثـم إنهم قد لاقوا مناخاً شـديد الصعوبة، أكبر من قدرتهم على التحمل، فسقوط الخلافة العثمانية قد جـرأ الشـيوعيين الصينيين على الفور على إعادة احتلال تركستان الشرقية مثلما جرأ نظراءهم في روسـيا على التهام تركسـتان الغربية (كازاخستان، أوزبكستان، تركمنستان، طاجيكستان، قيرغيزستان)، وكذا انهيار مشروع المسـلمين في الهند قد أنبش أظفاره في جسد الصيني المسلم على الفور.

ثم كان الصعـود الصيني الذي اقتات في واحدة من أكبر عوامله على احتلال تركسـتان الشرقية، ذات الموارد العظيمة الثرية، والمعبر الدولي الفريد.

ثـم كان الضعف المتدحرج للمسـلمين حول العالم، الذي أفضى إلى استخفاف الصين بردود أفعالهم بعد أن كانت الصين تهابهم أول.

وأسـباب أخـرى عديـدة، الأهـم مـن الاسترسـال في طرحها، هو البحث في حلول مختلفة، لوقـف النزيف أولاً ثم إعادة تموضع المسـلمين كأكبر أقلية في آسـيا، في مكانهم اللائـق. وهـذا وإن كان صعـبً، لكنه ليس مستحيلاً، والوقت لم يمضِ تماماً.

ولعل أولى خطوات إيقاف هذا النزيف من جسد مسـلمي الصين، هو إحياء هذه القضية، والتذكير بها، والتنويه إلى أهمية مسلمي الصين وإبراز التضامـن معهم، والتلويـح بالمقدور من دعوات المقاطعة لبعـض شركات الصين العالميـة الكبرى، والمقدور من المراسـلات لكل من يمكنه تحريك الماء الراكد، والاهتمام بالإعـلام المتكرر والدائم بقضيتهم، لكي يظل الإجرام الصيني وصمة عار لا يفارق نظامها.

أزمة اليقين العلمي في الحضارة الغربية

د. عطية عدلان

هُــوَّةٌ منهجية ســحيقة أصابــت المنهج التجريبيّ في مقتــل، تَمَثَّلَتْ في التنكر لأمرين خطيرين، الأول: ما قبل التفكير والثاني: ما بعده، فقد أنكر المنهج التجريبيّ في نسخه الأخيرة بعد «بيكون» الغائية وعَدَّها من الفكر الأســطوريّ الذي يرفضه المنهــج العلميّ، كما أنكر مبادئ العقل الفطرية الأولية، كمبدأ السببية أو العلّية، ومبدأ عدم التناقض وغيرها من المبادئ العقليّة الضروريّــة؛ فكانت الآثار بعد فقــرة من البطر والاستكبار أن وقع العلم المعاصر ذاته في حيرة وإبلاس بسبب الاكتشافات الجديدة التي تؤدي حتمًا إلى تقويض كثير من النظريات السابقة.

وقــد أدّى ذلــك إلى حالــة مــن فقدان اليقــين العلميّ، هــذه الحالة بــدت واضحة في تصريحــات الكثيرين من علــماء الغرب، فهذا «أندي نول» أســتاذ الأحياء في «هارفارد» يقول: «إذا أردنا تلخيــص ما نعرفه عن التاريخ العميــق للحياة على الأرض، عن أصل الحياة، عن مراحلها المتعددة التي أعطت فرصة لنشأة الأحياء، فــإنّ علينا أن نعترف بأنّنا ننظر هنا من خلال زجــاج معتم، نحن لا نعرف كيف بدأت

الحياة على كوكب الأرض»، ويقول «أنطونيو لازانو»: «في الحقيقة قد لا نكون قادرين على معرفة مسيرة الحياة على الإطلاق»، ويقول السير «جون مادوكس»: «متى ثم كيف تطور التكاثر الجنسي؟ على الرغم من مرور عقود من التخمين لا زلنا لا نعرف!»، ويقول «جيرالد شرويدر»: «إنّ وجود الظروف التي ساعدت على وجود الحياة لا تفسر كيف خرجت الحياة إلى الوجود».

ويقول «ريتشارد سوينبيرن»: «وجود الكون المادي المعقد عبر زمن متناهي أو لا متناهي أكبر بكثير من قدرة العلم على التفسير»، ويقول «لويس ولبرت»: «لقد تعمدت تحاشي القول في نشأة العقل؛ إذ إنّنا لا زلنا لا نفهم عنه شيئا»، ويقول «كارل بوبر»ما هي إلا خرافة علمية أن نعتقد إمكان تأمين معرفة أكيدة عن طريق معلومات نحصل عليها بالحواسّ فقط»، ويقول «هنري أتلان»: «انقشعت ضلالات القرن العشرين؛ وجعلتنا نفهم أنّ الحقيقة العلمية هي مجرد زخرفة للحقيقة»، فإن لم تكن هذه التصريحات العلمية دليلا على حالة فقدان اليقين العلميّ فماذا تكون؟

لذلك كثرت الآيات القرآنية التي ذكرت اليقين وجعلته شرطًا للانتفاع بالآيات والهدى والبينات: (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).. (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).. (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).. (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)؛ بما يعني أنّ اليقين طبيعة إنسانية سويّة تستقيم مع الهدى ويستقيم الهدى معها؛ لذلك جاء إلى جوار تلك الآيات آيات تجعل اكتساب اليقين غاية لتدبير الكون وتفصيل الآيات الكونية والقرآنية: (وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ).. (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)، حتى صار اليقين شرطًا لنجاح الدعاة والمربين: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)، أمّا عدم اليقين فخفة وطيش: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)، وعلى نهج القرآن مضت السنّة النبوية، حتى لقد استطاع العلماء باستقراء الأحاديث أن يخرجوا منها بقاعدة فقهية وقانونية راسية: (اليقين لا يزول بالشك) وفرعوا عليها قواعد عملية مثل: (الأصل براءة الذمة)، (والأصل بقاء ما كان على ما كان) وغيرها.